جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

العقم في بلاد النهرين حتى نهاية العصر البابلي الحديث ٥٣٩ ق. م

إعداد

د. محمد حسين قاسم محمود

مدرس تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الثالث (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

العقم في بلاد النهرين حتى نهاية العصر البابلي الحديث ٥٣٩ ق. م

محمد حسين قاسم محمود

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamed_hussein@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة من الظواهر غير الصحية، ومشكلة من المشكلات المتجددة بتجدد الحياة الإنسانية عبر العصور، وهي العقم، ويعزى الابتلاء به إلى العديد من الأسباب، ولعل أهمها الأسباب الدينية، والتي تجلت –وفق المعتقد العراقي القديم– في غضب الآلهة، وكونه عقوبة إلهية لبعض الجرائم، ومنع بعض الكاهنات كالإينتوم والناديتوم من الإنجاب، ووجود الكهنة الخصيان، بالإضافة إلى الأسباب الطبية، وتمثلت في وجود خلل طبي يمنع من الإنجاب، كالإصابة ببعض الأمراض مثل الملاريا والسيلان وغيرها، إلى جانب بعض الأسباب الأخرى كموانع الإنجاب القانونية، واستخدام وسائل منع الحمل. من هنا كان من الطبيعي محاولة التغلب على هذه الظاهرة، والبحث عن حلول مناسبة لها، والتي تضمنت الاستعانة بالآلهة من خلال التقرب إليها بشتى صنوف العبادة، بجانب اللجوء إلى الأطباء لتشخيص الداء؛ ومن ثم وصف الدواء المناسب؛ فإذا لم تستجب الآلهة، أو عجز الأطباء في معالجة العقم؛ فقد لجأ العراقيون القدماء إلى بعض الوسائل البديلة للتغلب على هذه الظاهرة، ومنها الإنجاب من أمة أو محظية تقدمها الزوجة لزوجها، أو الزواج من امرأة أخرى، أو اللجوء إلى التبني. ويعد المجتمع العقم ظاهرة غير متقبلة؛ لما يترتب عليها من آثار وأبعاد نفسية، ودينية، وسياسية، وغيرها. تكمن إشكالية الدراسة في الإجابة على بعض التساؤلات، كمحاولة التعرف على مفهوم العقم، وأسبابه، وسبل التغلب عليه، وأثره على المجتمع العراقي القديم، وقد تم ذلك من خلال اتباع المنهج

التحليلي من خلال قراءة ما توفر من نصوص وتحليلها واستخلاص الأفكار المتعلقة بموضوع البحث وعرضها بشكل واضح. وقد حاولت الدراسة إعطاء تصور واضح عن ظاهرة العقم من خلال المفهوم، الأسباب، وسبل التغلب عليه، وأثره على المجتمع. ثم خُتمت الدراسة ببعض النتائج، ومنها: الدور الكبير والفاعل للفكر الديني لدى العراقيين القدماء، التعرف على بعض سمات المجتمع العراقي القديم من خلال هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية : بلاد النهرين، الزواج، الإنجاب، العقم، الآلهة، التبني.

Infertility in Mesopotamia until the end of the Neo-Babylonian era 539 B. C.

Muhammad Hussain Kasem Mahmoud
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: mohamed_hussein@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to study one of the unhealthy phenomena and one of the recurring problems in human renewal throughout the ages, which is infertility. The affliction is due to many reasons, perhaps the most important of which is religious reasons, which - according to ancient Iraqi belief - are manifested in the wrath of the gods, and it is a punishment. Divine reasons for some crimes, preventing some priestesses such as Entum and Naditum from having children, and the presence of eunuch priests, in addition to medical reasons represented by the presence of a medical defect that prevented them from having children, such as contracting some diseases such as malaria, gonorrhea, and others, in addition to some other reasons such as legal impediments to childbearing. And the use of contraceptives. Hence, it was natural to try to overcome this phenomenon and search for appropriate solutions to it, which included seeking help from the gods by getting closer to them through various forms of worship, in addition to resorting to doctors to diagnose the disease. Then prescribe the appropriate medication; If the gods do not respond, or doctors are unable to treat infertility; The ancient Iraqis resorted to some alternative means to overcome this phenomenon, including giving birth to a slave or concubine whom the wife presented to her husband, marrying another woman, or resorting to adoption. Society considers infertility an unacceptable phenomenon. Because of its psychological, religious, political and other effects and dimensions. The problem of the study lies in answering some questions, such as trying to identify the concept of infertility, its causes, ways to overcome it, and its impact

on ancient Iraqi society. This was done by following the analytical approach by reading the available texts, analyzing them, extracting ideas related to the research topic, and presenting them clearly. The study attempted to give a clear picture of the phenomenon of infertility through its concept, causes, ways to overcome it, and its impact on society. Then the study concluded with some results, including: the great and effective role of religious thought among the ancient Iraqis, and identifying some of the characteristics of ancient Mesopotamian society through this phenomenon.

Keywords: ***Mesopotamia, marriage, procreation, infertility, gods, adoption.***

مقدمة:

تعد الأسرة النواة الأولى لبناء ونهضة أي مجتمع من المجتمعات، ومن بينها مجتمع بلاد النهرين؛ لأن صلاح المجتمع أو فساده مرهون بصلاح الأسرة أو فسادها، وقد حضت النصوص الأدبية على الزواج وإنجاب الأطفال، وشددت على كونها مسؤولية جسيمة، ووجهت النقد للشخص الأعزب الراغب عن الزواج تهربًا، أو خوفًا من مسؤوليته، ووصفته بكونه شخصًا غير جدير بالثقة، ولا يمكن الاعتماد عليه، كما شبهت المرأة المعرضة عن الزواج وتكوين أسرة بالحقل غير المنزرع، وبالبيت الذي لا صاحب له، في إشارة إلى عدم قيمتها وانعدام الاستفادة منها.

وقد أولى مجتمع بلاد النهرين عناية بالغة بإنجاب الأطفال وكثرة الذرية منذ أقدم العصور؛ لما يمثله من قيمة في حياة الفرد والمجتمع؛ فكان يعد الهدف الرئيس للزواج، ووفق عقائد القوم؛ فإن الإنجاب كان مرهونًا بيد المشيئة الإلهية؛ لذا كان لزامًا عليهم أن يتوجهوا بالتضرع إلى الآلهة لتنعم عليهم وترفدهم بالأولاد، كما يعد الإنجاب هدفًا إنسانيًا، وعاملًا مهمًا؛ لتحقيق غايات اجتماعية، واقتصادية، ودينية.

وقد عد العراقيون القدماء العقم من الظواهر غير الصحية، وأنها لا تخص من أصيب بها فحسب؛ بل تعدت لتشمل المحيط الاجتماعي الذي يعدها ظاهرة غير متقبلة؛ لما تُحدثه من آثار وأبعاد نفسية واجتماعية واقتصادية وغيرها؛ ومن هنا فقد بحثوا في أسبابها، والتي أرجعوها إلى أسباب دينية تمثلت في غضب الآلهة، وكونها عقوبة إلهية على بعض الجرائم، وعدم السماح لبعض العاملين والعاملات في خدمة المعابد من الزواج والإنجاب، أو من الإنجاب فقط حتى لو سُمح لهم بالزواج، مثل كاهنات الإينتوم والناديتوم، والكهنة الخصيان، بالإضافة إلى الأسباب الطبية كوجود خلل صحي يمنع من الحمل، بالإضافة إلى بعض الأسباب الأخرى كالأسباب القانونية، واستخدام وسائل منع الحمل.

وقد حاول العراقيون التغلب على مشكلة العقم، من خلال الاستعانة بالآلهة، أو اللجوء إلى الأطباء؛ لإيجاد العلاج المناسب، أو من خلال إلى طرق أخرى كالإنجاب من أمة تقدمها الزوجة لزوجها، أو الزواج بامرأة أخرى، أو اللجوء إلى التبني؛ لما يترتب علي العقم من أثر نفسي وديني وسياسي وغيره.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تقديم دراسة عن ظاهرة غير متقبلة في المجتمع العراقي القديم، ومشكلة من المشكلات التي أرقت العراقيين القدماء، بدءًا بأسبابها، ومحاولة التغلب عليها وعلاجها، وبيان أثرها، والتي عكست أهمية الدين ودخوله في مفاصل الحياة، كما ألقت الضوء على أحوالهم ونظرتهم للحياة بشقيها الدنيوي والعالم الأسفل.

إشكالية الدراسة: تكمن إشكالية الدراسة في الإجابة على بعض التساؤلات المتعلقة بقضية شغلت بال العراقيين القدماء وهي العقم والحرمان من الإنجاب، كمحاولة التعرف على مفهوم العقم، وأسبابه، وعلاجه، وأثره على المجتمع العراقي القديم. وقد تم ذلك من خلال اتباع المنهج التحليلي من خلال قراءة ما توفر من نصوص وتحليلها واستخلاص الأفكار المتعلقة بموضوع البحث وعرضها بشكل واضح في هذا البحث الموسوم بـ (العقم في بلاد النهرين حتى نهاية العصر البابلي الحديث ٥٣٩ ق. م).

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إبراز ظاهرة العقم من حيث المفهوم، والأسباب، وسبل التغلب عليها، وأثره، وإبراز دور الدين سواء في مسبباتها، أو علاجها، إلى جانب دور الطب في تشخيصها ووصف العلاج المناسب لها، والوسائل البديلة في حال عدم استجابة الآلهة، أو فشل الأطباء في معالجتها، مع ذكر ما يدلل على ذلك بما ورد في النصوص المسمارية.

منهج البحث: تم اتباع المنهج التحليلي من خلال قراءة ما توفر من مراجع تتعلق

بموضوع البحث، وكتابتها بما يسهم في تقديم المعلومة بشكل واضح.

اشتملت الدراسة على تمهيد، وأربعة محاور رئيسة، يتناول **التمهيد** نبذة عن الإنجاب من خلال أهميته ودوافعه، ويتناول **المحور الأول** مفهوم العقم من خلال تعريفه في اللغة العربية، وفي الطب، وفي النصوص المسمارية، بينما يتناول **المحور الثاني** أسباب ظاهرة العقم، ويناقش **المحور الثالث** سبل التغلب على العقم، ويكشف **المحور الرابع** والأخير عن الآثار المترتبة على العقم، ثم تُختتم الدراسة بالنتائج التي توصل إليها الباحث.

قائمة الاختصارات

List of Abbreviations

ANET	**Ancient Near Eastern Texts Relating To Old Testament.**
BASOR	**Bulletin of the American Schools of Oriental Research.**
Bi. Or	**Bibliotheca Orientalis.**
CAD	**The Assyrian Dictionary of The University of Chicago.**
CDA	**A concise Dictionary of Akkadian.**
Iraq	**British Institute for the Study of Iraq.**
JESHO	**Journal of The Economic and Social History of The Orient.**
JNES	**Journal of Near Eastern Studies.**
MDA	**Manuel D'epigraphie Akkadienn.**

تمهيد: أهمية الإنجاب ودوافعه:

كانت الأسرة ولا تزال النواة الأولى لنهضة أي مجتمع من المجتمعات، ومن بينها مجتمع بلاد النهرين؛ لذا أولى الملوك اهتمامًا كبيرًا بتنظيم شؤونها، من خلال سنّ القوانين التي تنظم العلاقات بين أفرادها(١)، وهم الأب والأم والأولاد، بالإضافة إلى من يتولى الأب إعالتهم، والقيام على شؤونهم(٢). من هنا حثت النصوص المسمارية على الزواج والإنجاب، وشددت على مسؤوليته الجسيمة؛ فقد ورد في نص سومري: *إن الذي ليس له زوجة أو لد لا تحتمل أنفه القيد*"(٣)، وفي ترجمة أخرى: "*من لم يغُل زوجة أو طفلًا فقد سلم أنفه من حمل المقود*"، في إشارة إلى المقود الذي يربط بأنوف الأسرى(٤).

وجّهت الترجمة الأولى للنص النقد اللاذع للرجل الأعزب الراغب عن الزواج تهربًا من تحمل المسؤولية، وأشارت الثانية إلى مدى المسؤولية التي يتحملها الرجل المتزوج، من خلال وصفه بالأسير.

وفي نص أدبي من نصوص الحكم الأكدية يظهر بوضوح تشديد النقد والذم للرجل الأعزب، ووصمه بعبارة قاسية وهي أنه شخص غير جدير بالثقة، ولا يمكن الاعتماد

---

(١) عامر سليمان، *العراق في التاريخ القديم: موجز التاريخ الحضاري*، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣، ص ١٥٢.

(٢) عامر سليمان، "جوانب من حضارة العراق القديم"، *العراق في التاريخ*، بغداد، (١٩٨٣)، ص ١٨٨.

(٣) أحمد أمين سليم، *الأسرة في العراق القديم "دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح"*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢١.

(٤) صمويل كريمر، *من ألواح سومر*، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٧، ص ٢٢١.

عليه؛ حيث ورد: *إن الشخص الذي لا يعول زوجة، ولا يعول ابنًا، إنه شخص لا يؤتمن، ذلك الشخص الذي لا يعول نفسه*"(١).

وقد أشارت إحدى نصوص الأمثال السومرية إلى أن الرجل غير العائل لزوجة أو أطفال يكون عرضة لتوالي المصائب عليه، حيث ورد: *إن المصائب تتضاعف على الرجل الذي لا يعيل زوجة أو أبناء*"(٢).

وكان الحال كذلك بالنسبة للمرأة المعرضة عن الزواج وتكوين أسرة؛ فقد شبهتها نصوص الأمثال بالحقل غير المزروع، في إشارة إلى عدم قيمتها وانعدام الاستفادة منها، وخير دليل على ذلك ما ورد في إحدى الحكم والأمثال الأكدية: *المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع*"(٣)، ويبدو أن ملك جبيل (ريب- هدد ١٤٠٠- ١٣٦٠ ق. م) اقتبس هذا المثل في إحدى رسائل تل العمارنة والموجهة إلى الفرعون المصري أمنحوتب الرابع يخبره فيها بأن عبدي عشيرا احتل جميع المدن القريبة من مدينته، ولم يبق أحد مواليًا له سواه، ويستغيث به لمؤازرته في الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي توشك أن تعصف به؛ بسبب العزلة التي فُرضت عليه، وقد ورد فيها ما نصه: *لقد قُضي على أبنائنا وبناتنا، وخشب البيوت، بتسليمهم في بلاد يريموتا، لأجل سلامة أرواحنا، كالعصفور الموضوع في داخل قفص، مثله أنا في مدينة جبيل. حقلي*

---

(1) Biggs, R. D., " Akkadian Didactic and Wisdom Literature", *ANET*, 3 ed, New Jersey, (1969), p. 594.

(2) Lambert, W. G., " Celibacy in the World's Oldest Proverbs", *BASOR*, vol. 169, (1963), p. 63.

(٣) أحمد أمين سليم، *المرجع السابق*، ص ٢٢؛

Pfeiffer. R. H., "Akkadian Proverbs and Counsels", *ANET*, 3 ed, New Jersey, (1969), p. 426.

بات مماثلًا لزوجة بلا زوج، لأنه بلا حراثة"[١]. وفي هذا دليل على انتشار الآداب الأكدية وتأثيرها على الحياة الثقافية خارج بلاد النهرين.

كما وُصفت المرأة غير المتزوجة بالمنزل الذي لا صاحب له، حيث ورد في إحدى نصوص الأمثال الآشورية ما نصه: *المنزل بلا صاحب، كالمرأة بلا زوج*"[٢] في إشارة إلى أن الزواج يقوم بتوفير الحماية لها.

وقد أشارت النصوص إلى أن الرجل هو الذي يقوم باختيار زوجته دون تدخل من أحد بعد موافقتها؛ حيث ورد في إحدى نصوص الحكم السومرية ما نصه: "تزوج حسب اختيارك..."[٣]، ويؤيد ذلك ما ورد في إحدى الأساطير التي تناولت زواج الإله "مارتو"[٤]، والذي طلب من أمه فيها أن تختار له زوجة، وجاء فيها: *قال مارتو لأمه وهو يدخل البيت: "في مدينتي اتخذ أصدقائي لأنفسهم زوجات، وجيراني اتخذوا لأنفسهم زوجات، في مدينتي أنا (وحدي) من أصدقائي ليس لدي زوجة، ليس لدي*

---

(١) فاروق إسماعيل، *مراسلات تل العمارنة الدولية: وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق. م*، ط١، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص ٣١١- ٣١٢؛

Moran, W. L., *The Amarna Letters*, The Johns Hopkins University Press, London, 1992, p. 143; Pfeiffer. R. H., *op. cit*., p. 426.

(2) Lambert, W. G., *Babylonian Wisdom Literature*, The Clarendon press, Oxford, 1960, p. 232.

(٣) أحمد أمين سليم، *المرجع السابق*، ص ٢٣.

(٤) مارتو: هو الإله الآموري مارتو بالسومرية، ويقابلها بالأكدية آمورو، لقبه الرئيس في السومرية لو. خور. ساج. جا بمعنى رجل السهوب، وعُبد في مدن: لارسا، إيسين، دلبات، بابل، ونيبور، وفي اعتقاد سكان بلاد النهرين أن مارتو كان ابن الإله "آنو" للمزيد انظر:

Leick, G., *A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology*, London and New York, 1991, p. 4.

زوجة، وليس لدي أطفال، .....، يا أمي اتخذي لي زوجة، هداياي سأقدمها لك"، ولكن أمه ردت عليه قائلة: "ابحث لنفسك عن زوجة حسب رغبتك"(١).

كما كان للبنت حق اختيار زوجها المستقبلي، وقد أشارت النصوص إلى ذلك؛ حيث ورد في بعض الأمثال الآشورية ما نصه: *إن قلبي حكيم، ومشاعري سلوك، وكبدي ذو جلال ووقار، لا تتحدث شفتاي إلا بالأشياء الجميلة، فمن ذا الذي سوف يكون زوجي المختار*"(٢).

من خلال هذه النصوص يتضح أن الحرية في اختيار الزوج/ الزوجة لدى الفتى والفتاة كانت مكفولة لكليهما، ولكن لم تكن هذه الحرية متروكة وفقًا لرغبتيهما فقط؛ بل كان لا بد من وجود بعض العوامل التي تتدخل في طبيعة هذا الاختيار كالوضع المادي أو الاجتماعي وغيرهما.

حظيت الرغبة في إنجاب الأطفال وكثرة الذرية بأهمية كبيرة في مجتمع بلاد النهرين منذ أقدم العصور؛ لما يمثله من قيمة في حياة الفرد والمجتمع؛ فكان يعد الهدف الرئيس من أهداف الزواج؛ لبناء أسرة متينة قائمة على دعائم وأسس راسخة، كما كان يعتبر ضرورة وحاجة إنسانية ملحة يأمل من خلالها الزوجين إلى إشباع غريزة من أهم الغرائز الإنسانية وهي غريزة الأبوة والأمومة؛ لكون الأولاد الامتداد الطبيعي للوالدين، ولكون الأسرة لا تقوم إلا على دعائم ثلاث وهي الزوج، والزوجة، والأولاد؛ لذا فالإنجاب يعد غاية أساسية لقيام الأسرة في أي مجتمع إنساني(٣).

---

(1) Kramer, S. N., *Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C,* University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1961, pp. 99- 100.

(2) Lambert, W. G., *op. cit.*, p. 230.

(٣) عامر سليمان، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة"، *المدينة والحياة المدنية*، ج١، بغداد، (١٩٨٨)، ص ٢٠٠.

وقد اعتقد سكان بلاد النهرين أن تكاثر الجنس البشري كان إحدى المهام التي أنيطت بالإلهة الأم "مامي"، وهذه المهمة لم تقف عند حد مباركة وتسهيل عملية الولادة فحسب؛ بل تجاوزت ذلك بكثير؛ فهي التي سنّت وقدرت تكاثر الإنسان وتناسله بدءًا من خلقه على شكل زوجين، مرورًا بمرحلة الحمل وتقدير مدته، ومراحل تكوين الجنين في أحشاء أمه، وحتى إتمام عملية الولادة، ومما يدلل على ذلك ما ورد في نصوص ملحمة "أتراخاسيس"(١)، وكان مما جاء فيها: "*وعندما أنهت تعويذتها قبضت أربع عشرة قبضة من الطين، ووضعت سبع قطع منها إلى اليمين، وسبعًا إلى اليسار. وبينهما قرميدة من طين، ثم استخدمت قصبة فتحتها لتقطع الحبل السري، ودعت آلهات الرحم الحكيمات ذوات المعرفة سبعًا ثم سبعًا. سبع منهن خلقن ذكورًا، وسبع خلقن الإناث، فإلهة الرحم هي خالقة القدر، وصنعت مامي هذه القواعد للناس: في منزل امرأة تلد يجب أن تحفظ قرميدة الطين لسبعة أيام، ويجب أن تكرم بيلت- إيلي، الحكيمة مامي، ويجب أن تبتهج القابلة في المنزل حيث المرأة التي تلد، وعندما تلد المرأة الطفل يجب على والدة الطفل أن تنفصل بنفسها.....*"(٢).

ونظرًا لأهمية الإنجاب لدى سكان بلاد النهرين، ووفقًا لعقائدهم؛ فإن الإنجاب كان مرهونًا بيد المشيئة الإلهية؛ فقد ورد في إحدى النصوص المسمارية ما نصه:

---

(١) أتراخاسيس: بالأكدية ويرادفها بالسومرية زيوسدار، وتعني الرجل الحكيم، وهو بطل قصة الطوفان، وكان ملكًا على مدينة شروباك، وهو الذي أنقذ البشرية من الطوفان. للمزيد انظر: ديتز أوتو إدزارد، وآخرون، *قاموس الآلهة والأساطير*، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط١، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٦١- ٦٢؛

Leick, G., *op. cit.*, pp. 63 ff.

(٢) دالي، ستيفاني، *أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها)*، ترجمة: نجوى نصر، ط١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٨- ٣٩.

"يستطيع الرجل أن يتزوج عددًا من النساء، ولكن إنجاب الأولاد تبقى نعمة لا تهبها إلا الآلهة"(١). ووفقًا لهذا الاعتقاد؛ كان لزامًا على الإنسان أن يتوجه بالتضرع إلى الآلهة لتنعم عليه وترفده بالأولاد؛ حيث ورد في إحدى نصوص الحكم السومرية بعض الأدعية بهذا الشأن للإلهة إنانا/ عشتار(٢) بصفتها إلهة للحب والجنس والخصوبة ما نصه: *"هل يمكن أن تجعل الإلهة إنانا الزوجة ذات السيقان الدافئة أن تضطجع لك؟ هل يمكن أن تهبك أبناء أقوياء؟ هل يمكن أن تبحث لك عن مكان للسعادة؟"*(٣).

ومن جهة أخرى، يعد الإنجاب هدفًا إنسانيًا، وعاملًا مهمًا؛ لتحقيق غايات اجتماعية، واقتصادية، ودينية، ولعل الغاية الاجتماعية هي تماسك أفراد الأسرة وتقوية أواصرها اجتماعيًا؛ فمن خلال الإنجاب تسعى الأسرة إلى الحفاظ على اسم عائلتها، ونسبها، وممتلكاتها، والحيلولة دون انتقالها إلى أشخاص غرباء، وقد حضت النصوص المسمارية متمثلة في بعض الأمثال على الزواج وإنجاب الأولاد؛ حيث ورد في إحدى الأمثال: *تزوج حسب اختيارك، وأنجب طفلًا كما يرغب به قلبك*"(٤)، ومن نص آخر نقرأ: *"عسى أن يمتلأ بيتك بالتوائم"*(١)، وفي أمنية أخرى

---

(1) Gordon, I. E., *Sumerian Proverbs Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia*, New York , 1968, p. 126.

(٢) الإلهة عشتار: بالأكدية عشتار وبالسومرية إنانا، إلهة الحب والخصب والجنس والموت والحرب، كانت من أهم الإلهات السومرية، ووجدت أهم معابدها في أوروك، وكيش، ووأكد. للمزيد عن الإلهة عشتار انظر:

Black, J., and Green, A., *Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary*, The British Museum Press, London, 1992, p.108 f; Gelb, I. J.," The Name of the Goddess Innin", *JNES*, vol. 19, no. 2, (1969), pp.72-79

(٣) أحمد أمين سليم، *المرجع السابق*، ص ٤٨.

(4) Gordon, I. E., *op. cit*., p. 114.

نقرأ: *ليت إنانا تعطيك زوجة دافئة الأعضاء، وتمنحك أولادًا أقوياء، وتفتش لك عن محل السعادة*(٢).

أما بالنسبة للغاية الاقتصادية، فقد تمثلت في حاجة الأسرة إلى العون المادي ومساعدة الأبوين، لاسيما في أيام الشيخوخة والعجز؛ فيعمدون إلى تعليم الأولاد حرفة يكسبون من خلالها أسباب المعيشة(٣)؛ لذا كان الإنجاب والإكثار منه أمرًا مستحسنًا، لا سيما في المجتمعات الزراعية مثل مجتمع بلاد النهرين؛ ضمانًا لتوفر الأيدي العاملة، وإيفاءً لمتطلبات الأعمال التي تحتاجها الأرض.

ومن الناحية الدينية، اعتقد القوم أن إنجاب الأولاد في الدنيا يضمن مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة للأبوين في العالم الأسفل بعد الموت، وهذا ما أشارت إليه ملحمة جلجامش(٤) في لوحها الثاني عشر والذي يتعلق بأسطورة نزول إنكيدو إلى العالم الأسفل، وكان عبارة عن مجموعة من الأسئلة طرحها جلجامش على روح أو شبح صديقه إنكيدو ويسترسل إنكيدو في الرد عليه ؛ حيث ورد ما نصه: "هل رأيت الذي لا ولد له؟ أجل رأيته وطعامه التراب والطين. هل رأيت الذي خلف وراءه ابنًا واحدًا؟ أجل لقد رأيته وهو ممدود أسفل الجدار ويبكي بكاءً مرًا. والذي خلف ابنين هل رأيت؟ أجل

➔➔➔

(1) Gordon, I. E., "A new look at the wisdom of Sumer and Akkad", *Bi. Or*, vol. 17, no. 3- 4, (1960), p. 131.

(2) *Loc.cit.*, p. 131.

(٣) طه باقر، فاضل عبد الواحد علي، وعامر سليمان، *تاريخ العراق القديم*، ج ٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨١.

(٤) جلجامش: هو الملك الخامس من ملوك سلالة الوركاء، وهي السلالة الثانية التي حكمت بعد الطوفان بعد كيش بحسب ترتيب إثبات الملوك السومريين، ودام حكمة لمدة ١٢٦ عامًا، وكانت حياته مادة للعديد من القصص والملاحم. للمزيد انظر. طه باقر، *ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان*، ط ٥، دار المدى، دمشق، ١٩٨٦، ص ٤٨.

لقد رأيته، إنه يضطجع في بناء من الآجر ويأكل الخبز. هل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء؟ أجل رأيت، إنه يسقى الماء من زقاق ماء العمق. والذي له أربعة أبناء هل رأيت؟ أجل شاهدته وهو فرح القلب. وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء؟ نعم رأيته وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر"[١].

(١) *نفس المرجع*، ص ١٨٩- ١٩٠.

أولاً ـ مفهوم العقم :

تعدّ ظاهرة العقم أو عدم الإنجاب قديمًا وحديثًا من الظواهر غير الصحية، ومن المشكلات المتجددة بتجدد الحياة الإنسانية منذ أقدم العصور، وإذا كان الإنجاب طبيعة من طبائع البشر؛ فإنَّ العقم أو عدم الإنجاب شيء طبعي يصيب بعض البشر منذ وطئت أقدامهم الأرض، والعقم عند المرأة يُقصد به فقدان خاصية الحمل لديها، ويُقصد به عند الرجل فقدانه لخاصية القدرة على الإخصاب؛ ومن هنا فإن ظاهرة العقم تتسع لتشمل الرجال والنساء على السواء، بل وتتعدى ذلك لتشمل المحيط الاجتماعي الذي يعد ظاهرة غير متقبلة؛ لما تُحدثه من آثار وأبعاد نفسية واجتماعية واقتصادية وغيرها.

أ- تعريف العقم:

يُعرف العقم في اللغة العربية بأنه لغة: القطع، لأنه يتسبب في قطع الأرحام، يقال امرأة عقيمة أي لا تلد، ومعناه هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد، ويقال ريح عقيم أي لا يكون معها لقح، ودنيا عقيم، أي لا ترد على صاحبها خيرًا، وهكذا، ومن هنا فإن العقيم هو الذي لا يولد له، وتطلق على الرجل والمرأة. ومن المصطلحات ذات الدلالة على العقم أيضًا العقر، يقال امرأة عاقر، أي: عقيم لا تحمل، ورجل عاقر ومعناه لا يولد له [١].

وفي الاصطلاح، يُعرف العقم بأنه: هو عدم قدرة الرجل أو المرأة أحدهما أو كليهما على الإنجاب لأسباب عديدة تكون مانعًا من إنجاب الأولاد؛ الأمر الذي يؤثر سلبًا على استمرار الحياة الأسرية [٢].

---

(١) ابن منظور، *لسان العرب*، مج ٤، ج ٣٤، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٣٠٣٣- ٣٠٣٤، ص ٣٠٥٠- ٣٠٥١.

(٢) أحمد مصطفى لطفي، *التلقيح الصناعي بين أقوال الأطباء وآراء الفقهاء*، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢٢- ٢٣.

ويعرف العقم عند أهل الطب بأنه: عدم القدرة على الإنجاب، وفقدان الخصوبة، وتقدر نسبة حدوث الإخصاب التلقائي بحوالي ٧٥% عند مرور سنة كاملة على الزواج، وتقدر نسبته بحوالي ٥٠% عند مرور أقل من سنة على الزواج، وقد يحدث الإخصاب التلقائي في كثير من الأحيان بعد مرور سنتين، وقد تطول مدته لتصل إلى أربع سنوات(١).

ومن هنا لا يمكن الجزم بأن هناك عقمًا إلا بعد مرور فترة من الزمن من بدء الحياة الزوجية مع وجود علاقة جنسية منتظمة، ودون استخدام أي وسيلة من الوسائل التي تمنع حصول الإخصاب التلقائي، وللعقم أسبابٌ كثيرةٌ منها العضوي وغير العضوي، والدائم والمؤقت، ومنها ما يصيب أحد الزوجين أو كليهما؛ فقد يرجع سبب العقم إلى الرجل وحده أو إلى المرأة وحدها، وقد يكون سببًا مشتركًا، وقد يتعطل الإنجاب لفترات طويلة أو قصيرة رغم عدم وجود أسباب ظاهرة أو واضحة لحدوث ذلك(٢).

ب- العقم في النصوص المسمارية:

وفي النصوص المعجمية وجد العديد من المصطلحات التي تتعلق بمسألة العقم، ومنها ما ورد بالصيغة السومرية (MUNUS- NU- U- TU)، ويرادفها بالصيغة الأكدية (la alittu)، وتعني امرأة عقيم، أو عاقر(٣)، بالإضافة إلى ما جاء بالصيغة

---

(١) محمد سعيد المحيشي، *العقم والإخصاب*، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته– ليبيا، ١٩٩٣، ص ٩.

(٢) رمضان محمد القذافي، *علم النفس في الإسلام*، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٩، ص ٣٨٤.

(٣) لابات، رينيه، *قاموس العلامات المسمارية*، ترجمة: ألبير أبونا، وليد الجادر، وخالد سالم إسماعيل، مراجعة عامر سليمان، الموصل، ٢٠٠٤، ص ٣١٠؛

***MDA*, p. 229, no. 554.**

السومرية (MU-NU- TUKU)، وترادفها بالأكدية لفظة (munutuku)، أو لفظة (munutukutu)، بمعنى عقيم دون ولد، أو حالة من لا ولد له [١]، وتعني أيضًا بلا وريث، أو بلا اسم، أو بغير مسمى؛ حيث ورد في إحدى نصوص الفأل المتعلقة ببول الكلب ما نصه: *إذا كلب بال على كرسي رجل؛ فلن يكون له ورثة*"[٢]. أي: سيصبح عقيمًا.

وقد أشارت إحدى نصوص الفأل المتعلقة بفؤول السحالي إلى العقم؛ حيث ورد: *إذا شاهد شخص ما سحلية تقفز خلف شخص ما، وإذا كانت قد جاءت خلفه دون أن تزعجه وجاءت أمامه وقفزت فوقه، فالشخص المعني حليفه النمو وأيام عمره ستطول ولن يكون له ولد*"[١]. أي: أنه رغم نموه، وطول عمره إلا أنه سوف يكون عقيمًا لا ولد له.

كما أشارت نصوص الفأل الخاصة بالحصان ـ أيضًا ـ إلى العقم وانقطاع الذكر بعد الموت، لا سيما إذا أكل الحصان أعضاءه التناسلية؛ فيؤول ذلك على أنه نذير الدمار والموت، وربما كان المقصود بالموت هنا هو الموت المعنوي، بمعنى أن لا يكون للرجل خلف؛ فينقطع ذكره من بعد موته، ودمار الدار يعني: هجرها بعد موت صاحبها لعدم وجود من يخلفه؛ حيث ورد: *إذا توحش الحصان وأكل خصيته وقضيبه، فسوف يموت ذلك الرجل وتدمر داره*"[٣].

وورد ـ أيضًا ـ في فؤول الأحلام المتعلقة ببول الإنسان ما يشير إلى العقم، لا سيما إذا رأى الشخص في منامه أنه يتبول على قصب صغير، وقد فسر العراقيون

---

(١) لابات، رينيه، *المرجع السابق*، ص ٣٦٢؛

MDA, p. 63, no. 61; *CDA*, p. 217, no. M.

(2) *CAD*, M2, p.208.

(3) Nötscher, F., "Die Omen-Serie šumma âlu ina Mêlê šakin", *Orientalia*, no. 51-54, (1929), p. 15.

القدماء البول بأنه ماء الحياة؛ فقلة البول التي يرمز لها بالقصب الصغير، تعني: العقم [١]؛ حيث ورد: ***إذا رأى شخصٌ في منامه أنه تبول على قصب صغير، فلن يرزق بأولاد***"[٢].

(١) سامي سعيد الأحمد، "الأحلام في العراق والعالم القديم"، *مجلة المورد*، مج ٢٠، ع ٢، بغداد، (١٩٩٢)، ص ١٧.

(2) Oppenheim, A. L., " The Interpretation of Dreams in the Ancient Near East. With a Translation of an Assyrian Dream-Book", *American Philosophical Society*, New Series, vol. 46, no. 3 (1956), p. 256.

ثانياً ـ أسباب العقم:

كان للعقم في نظر سكان بلاد النهرين أسباب عديدة، تراوحت ما بين أسباب دينية، وطبية، وقانونية، وسياسية. وفيما يلي الحديث عن هذه الأسباب بشيء من التفصيل.

أ- الأسباب الدينية:

كان للعقيدة الدينية لسكان بلاد النهرين منذ أقدم العصور دور كبير في توجيه كافة مناحي حياتهم العامة والخاصة على السواء؛ فالمعتقدات الدينية هي التي تحدد سلوك الإنسان، وتضبط عاداته وتقاليده وتصرفاته مع الآخرين، وكان للدين تأثير واضح على العراقيين القدماء؛ حيث تدخل في جميع مؤسساتهم، وهيمن على كافة نشاطاتهم، وأثرى نتاجاتهم الفنية والأدبية؛ لأنهم كانوا يشعرون على الدوام باعتمادهم اعتمادًا كليًّا على إرادة آلهتهم في استمرارية وجودهم، وكان الاعتقاد بوجود قوى خفية متعددة الوظائف تجلب النفع وتدفع الضر وهي الآلهة أهم مرتكزات عقيدتهم الدينية، ومن هنا كان لزامًا عليهم طاعة إرادتها، والتقرب إليها بشتى ألوان التعبد كالتراتيل والأدعية، والنذور والقرابين وغيرها، بالإضافة إلى الابتعاد عن ما يغضبها؛ حتى يضمنوا نيل بركتها، ويتجنبوا غضبها ولعنتها وانتقامها(١).

من هنا تمثلت أهم الأسباب الدينية للعقم فيما يأتي:

---

(١) رو، جورج، *العراق القديم*، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، ط٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٨ وما بعدها؛ عبد الوهاب حميد رشيد، *حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا –العقيدة الدينية– الحياة الاجتماعية– الأفكار الفلسفية*، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٢٠٤.

١- غضب الآلهة:

**كما سبقت الإشارة، وأكدت النصوص؛ فإن نعمة الإنجاب كانت مرهونة بإرادة ومشيئة الآلهة وفق اعتقاد القوم، وبالتالي كانوا يعدّون العقم علامة لسوء حظ من يصاب به، ونتيجة لغضب ولعنة من الآلهة جرّاء مخالفة تعليماتها، وخير دليل على ذلك ما يظهر من قصة الطوفان البابلية (أتراخاسيس)(١) والتي بينت أن الطوفان كان أحد الإجراءات التي لجأ إليها الإله "إنليل"(٢) للانتقام من البشرية(٣)، نتيجة لكثرة عددهم وانزعاجه من ضوضائهم وصخبهم وضجيجهم(٤)، وذلك من خلال القيام بسلسلة من الإجراءات المتلاحقة كان الهدف منها إهلاك الناس، والفتك بهم، فقد استطاع الإله "إنليل" في المرة الأولى إقناع الآلهة بإنزال الأمراض والأوبئة – ومن بينها العقم– على الناس في كافة أرجاء البلاد، حيث ورد: "*ولم تمض بعد ألف ومئتا*

---

(١) قصة الطوفان: حادثة روتها المآثر العراقية السومرية والبابلية، وقد وصلت إلينا في ثلاث روايات: إحداها سومرية وبطلها زيوسدرا، والثانية أخذت مكانها في ملحمة جلجامش وبطلها أوتنابشتم، والثالثة هي النسخة البابلية وبطلها أتراخاسيس. للمزيد انظر: فاضل عبد الواحد علي، "الأدب"، *حضارة العراق*، ج ١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ٣٣٠ وما بعدها.

(٢) الإله إنليل: هو الإله الأكبر في المجمع الإلهي السومري، والإله القومي للسومريين، والإله الحامي لمدينة نفر "نيبور"، ويعني اسمه "سيد الهواء". للمزيد عن الإله "إنليل" انظر: رو، جورج، *المرجع السابق*، ص ١٣٣؛

Mu-chou Poo., ***Enemies of civilization: attitudes toward foreigners in Ancient Mesopotamia, Egypt, and China,*** **New York, 2005, pp.140 f; Saggs, H. W. F.,** ***Everyday Life in Babylonia and Assyria,*** **New York, 1965, p. 109.**

(٣) فاضل عبد الواحد علي، *الطوفان في المراجع المسمارية*، مكتبة المهتدين، بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٣.

(٤) طه باقر، *مقدمة في أدب العراق القديم*، ط ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٧٨.

سنة، حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس، وصارت البلاد تخور مثل الثور، فانزعج الإله إنليل من ضجيجهم، أجل! لقد سئم إنليل صخبهم، فقال مخاطبًا الآلهة العظيمة: "لقد أصبح صخب الناس شديدًا عليّ، وحرمني ضجيجهم من النوم، فلنأمر بانتشار الوباء بين الناس"[١].

بناءً على طلب الإله "إنليل" وافقت الآلهة وفوضت الإله "تمتار"[٢] الموكول بالأوبئة والأمراض تنفيذ خطتها، وسرعان ما انتشر الوباء في البلاد، وأخذ يلتهم الناس، عندئذ استنجد "أتراخاسيس" بإله الحكمة "إيا"[٣] داعيًا إياه أن يخلص الناس من البلاء الذي حلّ بهم، وكانت وصيته لهم أن يقوموا ببناء معبد للإله "تمتار" والتضرع إليه بتقديم الهدايا والنذور؛ فاستجاب لهم وخفف عنهم على حد تعبير النص البابلي[٤].

ثم تذكر القصة أن الناس سرعان ما تكاثرت أعدادهم مرة أخرى، وأن صخبهم وضجيجهم تزايد في البلاد على النحو السابق؛ فقرر "إنليل" أن يرسل عليهم الجفاف والقحط والمجاعة؛ لذا أصدر أوامره إلى الإله "أدد"[٥] أن يحبس المطر، وإلى الإله

---

(١) فاضل عبد الواحد علي، *المرجع السابق*، ص ٥٦.

(٢) الإله "تمتار": أو "تمتارو"، كان وزير الإلهة "إرشيكجال" إلهة العالم السفلي، وكان أحد آلهة القدر، كما كان إله الأمراض والأوبئة كما ذكرته نصوص ملحمة أتراخاسيس. للمزيد انظر:
Black, J., and Green, A., *op. cit*., p. 134;
فاضل عبد الواحد علي، *المرجع السابق*، ص ٥٧.

(٣) الإله "إيا": بالأكدية "إيا"، وبالسومرية "إنكي"، وهو إله المياه والحكمة والسحر والتعاويذ والفنون والحرف اليدوية، كانت مدينة "إريدو" أهم مراكز عبادته. للمزيد انظر:
Black, J., and Green, A., *op. cit*., p. 75 f.

(٤) طه باقر، *المرجع السابق*، ص ١٧٨.

(٥) الإله "أدد": بالأكدية "أدد"، و"أدو"، وبالسومرية "إيشكور"، وهو ابن الإله "آنو" أو "إنليل"، ومن أسمائه "سيد الثروة"، وزوجته الإلهة "شلش" أو "شارا"، وهو إله العاصفة والمطر والرعد والوحي، والعارف بالغيب، وكان أحد آلهة الحرب. للمزيد انظر:
Black, J., and Green, A., *op. cit*., p. 110 f; Mcintosh, J. R., *Ancient Mesopotamia New Perspectives*, Oxford, 2005, p. 319.

"إيا" إله العمق أن يمنع تدفق المياه، وإلى الإلهة "نيسابا"[١] أن تمنع فيض ثديها، كما أمر الريح أن تهب لتلفح وجه الأرض، وأن تتلبد الغيوم دون أن تنهمر قطرة مطر، وهكذا حلت المجاعة بين الناس لمدة ست سنوات متوالية[٢]، وقد ورد في قصة الطوفان البابلية عن ذلك ما نصه: ***في العلى جعل الإله أدد مطره نزرًا، وفي الأسفل سدت الأنهار، وأوقف تدفق المياه من العمق، وأنقصت الحقول غلالها، ومنعت الإلهة نيسابا فيض ثديها؛ فأصبحت الحقول السوداء بيضاء، وصارت الحقول الواسعة لا تعطي غير الملح، وهكذا تمرد رحم الأرض، فلم تنبت البقول ولا الحبوب، وأنزلت الأمراض على الناس؛ فأصبحت الأرحام ضامرة؛ فلم تلد مولودًا. وعندما حلت السنة الثانية، أصابهم الجرب. وعندما حلت السنة الثالثة، تشوهت ملامح الناس بفعل الجوع. وعندما حلت السنة الرابعة، قصرت سيقانهم وضمرت وانكمشت أكتافهم العريضة الواسعة؛ فصاروا يسيرون محدوبين في الشوارع. وعندما حلت السنة الخامسة، أصبحت البنت تطيل النظر إلى أمها وهي تدخل تاركة إياها خارج البيت. وعندما حلت السنة السادسة اتخذوا من البنت عشاء لهم، واتخذوا من الولد غداء لهم، لكنهم لم يشبعوا، حتى التهم كل جار جاره وغطت وجوههم غشاوة كأنها النبت المصفر، وكان الناس أحياء ولكن على حافة الموت***"[٣].

باستقراء هذا النص يتضح أن العقم كان إحدى العقوبات التي صبتها الآلهة على الناس؛ نتيجة لإزعاجها وقض مضاجعها، ومن الملفت للنظر أن هذا النص قد أشار إلى نوعين من العقم، العقم الحقيقي وهو عدم الإنجاب، كما ورد في النص:

---

(١) الإلهة "نيسابا": أو "نيدابا"، إحدى أقدم الإلهات السومرية، وكانت ضمن الآلهة الشخصية لملوك مدينة "أوما"، وكانت إلهة الحبوب، والكتابة. للمزيد انظر:

Black, J., and Green, A., *op. cit.*, p. 143.

(٢) طه باقر، *المرجع السابق*، ص ١٧٩.

(٣) فاضل عبد الواحد علي، "الأدب"، *حضارة العراق*، ج ١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ٣٣٢- ٣٣٣.

"*فأصبحت الأرحام ضامرة؛ فلم تلد مولودًا*" في إشارة إلى عدم الإنجاب، بالإضافة إلى عقم شامل ضرب أوصال ومفاصل الحياة؛ فقلة المطر عقم، وانسداد الأنهار عقم، ووقف تدفق المياه من العمق عقم، ومنع الإلهة "تيسابا" فيض ثديها عقم، وتحول الحقول السوداء كرمز للخصوبة إلى بيضاء عقم، وملوحة الأرض بعد خصبها عقم، وعجز الأرض عن إنبات البقول والحبوب عقم، حتى إن الكاتب عبّر عن ذلك بقوله: "*وهكذا تمرد رحم الأرض؛ فلم تنبت البقول ولا الحبوب*"، فشبه الأرض العاجزة عن الإنبات بالمرأة العقيم العاجزة عن الإنجاب. ويبدو من النص ـ أيضًا ـ أن العقم الحقيقي والمقصود به عدم الإنجاب أنه ربما كان نتيجة طبيعية للعقم العام الشامل الذي ضرب مفاصل الحياة؛ حيث كان سببًا في إصابة الناس بالأمراض ومن بينها العقم الحقيقي كما ورد في النص: "*وأنزلت الأمراض على الناس؛ فأصبحت الأرحام ضامرة؛ فلم تلد مولودًا*".

وقد ذكرت إحدى النصوص صراحة هذه الأمراض التي أصيب بها الناس وكان من بينها مرض الأسكو[١]، وقد فُسّر على أنه العقم؛ حيث ورد في قصة الطوفان البابلية ما نصه: "*ليقضِ الإله نمتار على ضجيجهم، ولتفتك بهم كالإعصار: الأمراض والأوجاع والأوبئة والأسكو، وأمروا بذلك؛ فكانت الأوبئة، وهكذا قضى الإله نمتار على صخبهم، وفتكت بهم كالإعصار: الأمراض والأوجاع والأوبئة والأسكو....*"[٢].

---

(١) الأسكو: **Asakku** بالأكدية، وبالسومرية **AZAG**، أو **ASAG**، وهذا المصطلح يطلق فيقصد به الشياطين، أو الأرواح الخبيثة وآثارها على الإنسان، أو يقصد بها الأمراض التي تسببها الشياطين ومن بينها العقم. للمزيد انظر:

***CAD*, vol. A, no. 2, pp. 325 ff; *CDA*, p. 25.**

(٢) فاضل عبد الواحد علي، *الطوفان في المراجع المسمارية*، ص ٥٧.

٢- عقوبة إلهية على بعض الجرائم:

كما كان العقم والحرمان من الإنجاب عقوبة من جانب الآلهة على الإنسان جراء اقترافه لبعض الجرائم، وعلى سبيل المثال: جريمة مخالفة القوانين، والقسم الزور.

فبالنسبة لمخالفة القوانين: كان العقم والحرمان من إنجاب الأولاد إحدى العقوبات واللعنات من جانب الآلهة التي تصبها على المخالفين لأوامرها، ومن بينها مخالفة القوانين أو محوها، أو تشويهها، أو عدم تطبيقها، وخير دليل على ذلك ما ورد على لسان الملك حمورابي(١) في خاتمة قوانينه؛ حيث ورد: *"... وإذا لم يتدبر الشخص كلماتي التي كتبتها على مسلتي وتجاهل لعناتي ولم يخش لعنات الآلهة، ومحا القوانين التي شرعتها، وتجاهل أحكامي وغير شرائعي ومحا اسمي المكتوب وكتب اسمه (محل اسمي) أو أمر آخر (ليقوم بهذا العمل) بسبب هذه اللعنات. عسى إنليل أبو الآلهة الذي دعاني إلى الحكم أن يجرد ذلك الشخص سواء كان ملكًا أو أميرًا أو حاكمًا أو أي إنسان يحمل لقبًا من أبهة الملك ويطم صولجانه ويلعن طالعه، وعسى إنليل الرب مقرر المصائر الذي أوامره لا تتبدل، موسع مملكتي أن يضرم الثورات التي لا يمكن إخمادها، وأن يكون اليأس هلاكه في عقر داره، وعسى أن يجعل نصيبه حكم الويل، وأن يجعل أيامه قليلة العدد، وسنوات القحط كلها ظلام دامس وموت مفاجئ، عسى أن يفرض بأمره المشرف على خراب مدينته، وتشتيت (شمل) شعبه، وتخريب مملكته، واختفاء اسمه وذكراه من البلاد*"(٢). **والمقصود باختفاء اسمه وذكراه

---

(١) حمورابي: سادس ملوك أسرة بابل الأولى حكم في الفترة من (١٧٩٢ –١٧٥٠ق.م)، جمع بين صفات القائد السياسي والمشرع والمصلح. للمزيد انظر طه باقر، *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، ج١، ط١، دار الوراق، بغداد،٢٠٠٩، ص ٤٧٢ وما بعدها.

(٢) فوزي رشيد، *الشرائع العراقية القديمة*، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٤٠؛
Meek, Th. J., "The Code of Hammurabi", *ANET*, Princeton University Press, New Jersey, (1969), pp. 179.

من البلاد أي انقطاع نسله من الأرض جراء ما فعل من الجرائم التي استوجبت لعنة الآلهة.

ومما يدلل ـ أيضًا ـ على ذلك ما ورد في ذات الخاتمة من إشارة تؤكد هذا المعنى بطريقة أوضح؛ حيث ورد فيها ما نصه: "*عسى ننتو*(١) *سيدة البلاد الرفيعة، الأم التي ولدتني أن تحرمه من الوريث، وعسى أن تتركه بلا اسم، وعسى أن لا تنمو بذرة الحياة وسط شعبه*"(٢). من هنا كانت عقوبة الحرمان من الإنجاب عقوبة إلهية من جانب الإلهة ننتو الإلهة الأم؛ وبذلك تكون هذه العقوبة إحدى الأسباب الدينية للعقم.

أما بالنسبة للقسم الزور: فقد كان العقم عقوبة إلهية على الشخص الذي وقع في جريمة قسم الزور، حيث ورد في إحدى النصوص الأكدية الحورية المتعلقة بأدب النصح، والتي عثر عليها في مدينة "رأس شمرة"(٣)، ويؤرخ بعام ١٤٠٠ ق. م، وهو عبارة عن نصيحة بعدم القسم زورًا، وإلا وقع في عقوبة العقم؛ حيث ورد: *احترم نفسك، واحفظ ذاتك، إن الذي يقسم زورًا في محنة النهر ..... ميراثه، ولا تنجب زوجته أبدًا*"(٤).

---

(١) الإلهة ننتو: بالأكدية ننتو، وبالسومرية ننخورساج، إحدى الإلهات الأم، وكانت المسؤولة عن ولادة العديد من الآلهة والإلهات، والكثير من البشر. للمزيد انظر:

Black, J., and Green, A., *op. cit.*, p. 140.

(٢) فوزي رشيد، *المرجع السابق*، ص ١٤٢؛

Meek, Th. J., *op. cit.*, p. 180.

(٣) رأس شمرة: الاسم الحالي لتل أثري كشفت فيه أطلال مملكة أوغاريت السورية، يقع على بعد ١٢ كم شمال مدينة اللاذقية على ساحل البحر المتوسط. للمزيد عن المدينة انظر:

Lete, G. D. O., *The private archives of Ugarit: A functional analysis*, Barcelona, 2018, p. 9.

(4) Lambert, W. G., *op. cit.*, p. 116.

٣- إجبار بعض الكاهنات على عدم الإنجاب:

ومما يتعلق بالأسباب الدينية للعقم أو بالأحرى التعقيم، إجبار بعض الكاهنات على عدم الزواج والإنجاب(١)؛ حتى يتمكنّ من التفرغ لأداء مهامهن الدينية، وعلى سبيل المثال كاهنات الإينتوم(٢) والناديتوم(٣)، وكان المركز الديني الكبير الذي أنيط بالكاهنة

---

(١) من اللافت للنظر أن جميع الكاهنات لم تكن ملزمات بعدم الزواج والإنجاب؛ فكاهنات الناديتوم للإله مردوخ كان يحق لهن الزواج دون الإنجاب، وكاهنات الناديتوم للإله أدد كان يحق لهن الزواج وإنجاب الأطفال، وبالنسبة لكاهنات الناديتوم للإله شمش فكان لا يحق لهن الزواج ولا الإنجاب. للمزيد انظر:

Harris, R., *Ancient Sippar A Demographic Study of An Old Babylonian City (1894-1595B.C.)*, Leiden,1975, p. 303.

(٢) كاهنات الإينتوم: من أبرز الوظائف الكهنوتية للمرأة في بلاد النهرين، وتعني السيدة الإلهية، أو الكاهنة العليا؛ لانتمائها إلى الطبقات العليا في المجتمع العراقي القديم، وقد كان لهذا النوع من الكاهنات إلى جانب دورهنّ الديني دور اقتصادي بارز من بيع وشراء وغيرهما من معاملات اقتصادية، كما تمتعن بمكانة اجتماعية مرموقة. للمزيد انظر: رضا جواد الهاشمي، "النظام الكهنوتي في العراق القديم"، *مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد*، مج ١، ع ١٤، (١٩٨٣)، ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٣) كاهنات الناديتوم: وتعني المرأة العفيفة، يلي هذا النوع من الكاهنات كاهنات الإينتوم في المكانة، وغالبًا ما كانت كاهنات الناديتوم ينحدرن من عائلة ملكية، أو العوائل الغنية، أو كنّ بنات قادة عسكريين أو كبار موظفي القصر أو المعبد، وكان أهم ما تميزن به بجانب دورهن الكهنوتي هو ممارسة النشاط الاقتصادي كالبيع والشراء والإقراض والكفالة، وامتهان الكتابة، بالإضافة إلى دورهن الاجتماعي. للمزيد انظر: رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ٢٨١ وما بعدها؛

Harris, R., *op. cit.*, p. 306; Lahtinen, S., *The nadītum as Businesswoman: Economic Enterprise among Religiously Devoted Women in Old Babylonian Sippar*, Uppsala, 2008; Stone,E.C., "The Social Role of the Naditu Women in Old Babylonian Nibbor", *JESHO*, vol. 25, no.1, (1982), pp. 50- 70.

الإينتوم قد فرض عليها أن تمنع من الزواج والإنجاب وأن تعيش حياة العفة، ويبدو أن الزواج والإنجاب كان مسموحًا بهما خلال العصرين السومري والأكدي، بدليل أن جوديا أحد ملوك لجش كان ابن كاهنة عليا إينتوم(١)، وكان الحال نفسه مع سرجون الأكدي الذي صرح بنفسه بأنه كان ابنًا لكاهنة من هذا النوع(٢)، حيث ورد في إحدى نصوصه: *"أمي كاهنة عليا؛ لذلك لا أعرف أبي. أمي الكاهنة العليا حملت بي وولدتني سرًا"*(٣)، لكن الزواج حرم علي الإينتوم بحلول العصر البابلي القديم، لا سيما عهد حمورابي(٤)، وبالرغم من ذلك؛ ففي قانون حمورابي ما يشير إلى أنه كان بإمكان كاهنات الإينتوم الزواج في بعض الحالات لكن دون إنجاب، وإذا ذُكر لها أبناء؛ فإنهم كانوا أبناء بالتبني، وكان يتم منعهن من الإنجاب إما من خلال التعقيم بوسائل معينة، أو إجهاض نفسها إذا شعرت بالحمل(٥).

أما بالنسبة لكاهنات الناديتوم؛ فكان يسمح لهن بالزواج دون الإنجاب، وإذا أراد زوجها أولادًا؛ فكان يتحتم عليها أن تقدم له أمة لهذا الغرض، وقد ناقشت المواد (١٤٤- ١٤٦) من قانون حمورابي مسألة زواجهن؛ فقد نصت المادة ١٤٤ على حتمية تقديم الناديتوم أمة لزوجها لغرض الإنجاب؛ حيث ورد فيها: *"إذا تزوج رجل كاهنة من صنف الناديتوم، وأعطت هذه الكاهنة لزوجها أمة وأنجبت أطفالًا، فإذا عزم الرجل الزواج من الشوكيتوم، فلا يسمح لذلك الرجل بالزواج، وعليه أن لا يتزوج من الشوكيتوم"*، كما ورد في المادة ١٤٥ من نفس القانون ما نصه: *"إذا تزوج رجل*

---

(1) *CAD*, vol. E, p. 173.

(٢) فوزي رشيد، *سرجون الأكدي أول إمبراطور في العالم*، الموسوعة الذهبية، ج ١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٧- ١٨.

(3) *CAD*, vol. E, p. 173.

(٤) فوزي رشيد، *المرجع السابق*، ص ١٨.

(٥) رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ٢٧٩- ٢٨٠.

كاهنة من صنف الناديتوم، ولم تجهزه بالأولاد وعزم أن يتزوج شوكيتوم، فيمكن لذلك الرجل أن يتزوج شوكيتوم وإدخالها في بيته، ويجب أن لا تساوي الشوكيتوم نفسها مع الناديتوم"، وفي المادة ١٤٦ ورد: *إذا تزوج رجل كاهنة من صنف الناديتوم، وأعطت الناديتوم لزوجها أمة وأنجبت أطفالًا، وبعد ذلك ساوت الأمة نفسها مع سيدتها؛ فبسبب إنجابها الأطفال لا يحق لسيدتها أن تبيعها بالمال، ولكن لها أن تضع عليها شارة العبودية وتعدها من الإماء*"(١).

وكان يتم منع هذا الصنف من الكاهنات من الإنجاب كسابقه من كاهنات الإينتوم، إما من خلال التعقيم، أو الإجهاض نفسها عند حدوث الحمل(٢).

٤- الكهنة الخصيان:

كان وجود طائفة من الكهنة الخصيان(٣) في المعابد العراقية القديمة أحد أهم الأسباب الدينية للعقم، أو بالأحرى التعقيم، أو العقم غير الطبيعي، وقد أطلق على هذا الصنف من الكهنة مصطلح "الكوركارّو والأسينو"، وكانوا في أدنى درجات السلم الكهنوتي(٤)، وكانوا يعملون بشكل رئيس ضمن الأشخاص الطقوسيين للإلهة "عشتار"، ومما يدلل على كونهم خصيانًا ما ورد من إشارات في بعض النصوص القديمة إلى أن الإلهة "عشتار" قامت بتحويلهم من الدور الذكوري إلى الدور الأنثوي؛ لتهيئتهم لممارسة الطقوس الدينية الخاصة بها(٥)، وربما كان الهدف من عملية إخصاء هذا النوع من الكهنة أن أغلب العاملين في خدمة الإلهة "عشتار" كنّ

---

(1) Roth, M. T., *Law Collections From Mesopotamia and Asia Minor*, Atlanta, 1997, pp. 108 f.

(٢) رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ٢٨٣.

(3) Saggs, H. W. F., *op. cit.*, p. 111.

(٤) رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ٢٧٥.

(5) *CAD*, vol. A, no. 2, pp. 341- 342.

من النساء؛ فإذا اقتضى الأمر وجود بعض الرجال لبعض الأعمال؛ فكان يتوجب إخصاؤهم وارتداؤهم الملابس النسائية[١].

ب- الأسباب الطبية:

وذلك بسبب وجود خلل طبي يمنع من الحمل، كإصابة أحد الزوجين ببعض الأمراض، مثل: حمى الملاريا، وبعض الأمراض الأخرى كالسيلان، واختناق البروستاتا، وغيرها.

١- الإصابة بالملاريا:

مثّل مرض حمى الملاريا أحد أهم الأمراض التي تحول دون حمل المرأة، وقد تمت الإشارة إلى هذا المرض كمانع للحمل ضمنيًا في المادة (١٤٨) من مواد قانون حمورابي، والتي تنص على: *إذا اتخذ الرجل زوجة وأصابتها الحمى؛ فإذا عزم الرجل على أن يتزوج من امرأة أخرى، فيمكنه أن يتزوج، ولا يجوز أن يطلق زوجته المصابة بالمرض، تسكن في البيت الذي بناه لها، ويستمر في دعمها طالما على قيد الحياة*"[٢].

رأى بعض الباحثين أنه ربما يكون المقصود بالمرض هنا هو مرض الملاريا؛ لأنه من الأمراض التي تعرقل الحمل[٣]؛ الأمر الذي قد يدفع الرجل للّجوء إلى الزواج من امرأة أخرى؛ حيث ينتج عن الإصابة بالملاريا حمى وقشعريرة يتعذر معها

---

(1) Kramer, S. N ., *The Sumerians, Their History, Culture, and Character,* Chicago, 1963, p. 142;

رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ٢٧٥.

(2) Meek, Th. J., *op. cit.*, p. 172.

(٣) ثلماستيان عقراوي، *المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين*، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٠٩.

المعاشرة الجنسية بين الزوج وزوجته المصابة بهذا المرض؛ خوفًا من العدوى، وتجنبًا لانتقال المرض(١).

٢- مرض السيلان:

كانت الإصابة ببعض الأمراض الجنسية المعدية الناجمة عن الممارسات الجنسية الشاذة مثل مرض السيلان، إحدى الأمراض التي تسبب العقم، ومما يدلل على ذلك ما ورد في إحدى نصوص مدينة "ماري"(٢) المؤرخة بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد، وفيها يخاطب الملك "زمري ليم"(٣) زوجته قائلًا: "*سمعت بأن السيدة نانامة قد أصابها مرض؛ لاتصالها جنسيًا مرات عديدة مع ساكني القصر، وأنها اتصلت جنسيًا مع عدة نساء في محل سكنها، ولهذا أعطيت الأوامر الصارمة لأي شخص بعدم الشرب من نفس الكأس الذي تستعمله هذه السيدة، وبعدم الجلوس على المقعد التي تجلس عليه، وبعدم النوم على الفراش الذي تنام عليه، وعليها قطع الاتصال بعدة نساء في محل سكنها؛ فهذا شر معد*"(٤).

---

(١) رضا جود الهاشمي، *نظام العائلة في العصر البابلي القديم*، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٢٨.

(٢) مدينة ماري: "تل الحريري" حاليًا، مدينة سورية مهمة تقع على الضفة اليمنى للفرات، ونظراً لموقعها الاستراتيجي بين البحر المتوسط وبلاد النهرين والأناضول تم اختيارها من جانب الآموريين عاصمة لهم. للمزيد انظر: عبد الحكيم الذنون، *تاريخ الشام القديم*، ط ١، دار الشام القديمة، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٥٨.

(٣) زمري ليم: آخر ملوك ماري حوالي (١٧٧٥– ١٧٦٠ ق. م)، كان عهده أزهى عصورها، وكان سقوطها على يد حمورابي. للمزيد انظر: طه باقر، *المرجع السابق*، ص ٤٥٧ وما بعدها.

(٤) لابات، رينيه، "الطب االبابلي والآشوري"، ترجمة: وليد الجادر، *مجلة سومر*، مج ٢٤، ج ١، ٢، بغداد، (١٩٦٨)، ص ١٩٨.

يُفهم من هذا النص أن مرض السيلان من الأمراض المعدية التي قد تسبب العقم، ولكن قد يكون بطريق مباشر، أو ربما كان من خلال البعد عمن أصيب به كزوجة أصيبت به فلا تُعاشر معاشرة الأزواج، كما يفهم من النص ـ أيضًا ـ معرفة العراقيين لمفهوم العزل أو الحجر الصحي لمن أصيب بالأمراض المعدية.

٣- مرض اختناق البروستاتا:

يُعد مرض اختناق المثانة أو تضخم البروستاتا كما يطلق عليه في الوقت الحاضر من الأمراض المسببة للعقم بطريق غير مباشر، حيث يُعد الضعف الجنسي إحدى أهم نتائجه، وتشير النصوص المسمارية المتعلقة بالجوانب الطبية إلى أن أعراض هذا المرض تمثلت في الشعور بألم حاد، والتعب، وخفقان القلب؛ مما يؤدي إلى عدم القدرة على النوم، حيث ورد في إحدى النصوص الطبية المؤرخة بالعصر الآشوري الحديث: ***إذا رجل يعاني من ألم في خاصرته، ويشعر بالتعب، وشعر رأسه واقف، وقلبه يرتجف خوفًا، ولا يستطيع أن ينام في الليل أو النهار، فإن هذا الرجل مصاب بمرض اختناق المثانة (البروستات)***[(١)]"، بالإضافة إلى معاناة المريض من تقطير البول، وعدم السيطرة عليه، حيث ورد في نص آخر مؤرخ بنفس العصر: "***إذا رجل قضيبه يقطر بولًا، ولا يستطيع أن يضبطه (يوقفه)، أولًا افحصه بإصبعك من الأمام، فإن هذا الرجل مصاب بمرض اختناق المثانة (البروستات)***[(٢)]".

---

(١) مؤيد محمد سليمان، " مرض اختناق المثانة البروستات في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية"، *مجلة آداب الرافدين*، ع ٥٠، الموصل، (٢٠٠٨)، ص ٢٩١. وللمزيد عن النص الأصلي انظر:

Thompson, R. C., *Assyrian medical texts from the originals in the British Museum*, London, 1923, p. 30.

(٢) مؤيد محمد سليمان، *المرجع السابق*، ص ٢٩٣؛

Thompson, R. C., *op. cit.*, p. 63.

من الملاحظ أن هذه الأعراض تتوافق مع أعراض مرض تضخم البروستاتا في الوقت الحاضر، وقد أشارت النصوص إلى الوصفات الطبية المتعلقة بعلاج هذا المرض، وسيأتي الحديث عنها لاحقًا في الجزء الخاص بالعلاج الطبي.

ج- موانع إنجاب قانونية:

ويُقصد بها ما ورد من عقوبات في القوانين العراقية القديمة تتسبب في حدوث العقم كالإخصاء، فقد نصت القوانين الآشورية الوسيطة على أنه إذا ارتكب رجل جريمة اللواط مع رجل آخر فتكون عقوبته أن يُلاط به أولًا، ثم يخصى[١]، حيث نقرأ في المادة (٢٠) من اللوح الأول من القوانين الآشورية الوسيطة: *إذا ارتكب رجل اللواط مع جاره وثبتت عليه التهمة، وتمت إدانته، يلاط به ثم يخصى*"[٢].

د- استخدام وسائل منع الحمل:

كان من أسباب العقم الاختياري استخدام بعض النساء لوسائل تحول دون الحمل والإنجاب، لا سيما تلك النساء اللاتي يعملن في السلك الكهنوتي ككاهنات الإينتوم والناديتوم والتي تطلب وضعهن الديني الإبقاء على أرحامهن دون حمل إذا دخلن في علاقات جنسية، من خلال بعض الوسائل كممارسة الجماع من الخلف، حيث وردت إشارات بأن الكاهنة العليا الإينتوم كانت تفعل ذلك كوسيلة لمنع الحمل، أو من خلال استخدام تحاميل في المهبل، بالإضافة إلى بعض العقاقير الطبية والتعاويذ الدينية[٣]، ولم يقتصر هذا على الكاهنات بل يشمل ـ أيضًا ـ السيدات من غير الكاهنات.

---

(١) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩، ص ٢٠٦.

(2) Meek, Th. J., "The Middle Assyrian Laws", *ANET*, Princeton University Press, New Jersey, (1969), p. 181.

(٣) ساكز، هاري، *المرجع السابق*، ص ٢٠٥.

ثالثاً ـ سبُل التغلب على العقم:

سعى العراقيون سعيًا حثيثًا إلى إيجاد حلول للتغلب على مشكلة العقم، وقد تنوعت هذه الحلول إلى حلول دينية، أو علاجات طبية، بالإضافة إلى التسري إلى الإماء بغرض الإنجاب، أو الزواج من امرأة أخرى، أو اللجوء إلى التبني، وتمثلت الحلول الدينية فيما يلي:

أ- الاستعانة بالآلهة:

غلب على الحياة في بلاد النهرين الطابع الديني، وكان القوم –وفق اعتقادهم– يعدون أي بلاء يصاب به الإنسان من مرض أو ضجر نتيجة لاقترافه الخطايا والذنوب؛ ومن ثم فليس هناك علاج فاعل لا يتضمن اللجوء إلى الآلهة والقيام بالطقوس الدينية المختلفة كالدعاء، والتضرع، وتقديم القرابين وغيرها؛ فعندما تقام الصلوات وتتلى التراتيل والترانيم في المعابد؛ تتألق المشاعر المرهفة وتنفجر العواطف الصادقة تجاه الآلهة، ومقابل ذلك تُستعطف الآلهة وتمنحه ما يريد. ووفقًا للعقيدة الدينية يجب على كل من ابتلي أن يتحلى بالصبر، وألا ييأس من رحمة الآلهة وعطفها، فهذا رجل معذب يسأل إلهه بجزع: "*يا إلهي، النهار يسطع بنوره على الأرض، أما أنا فيومي مظلم. الدموع والحزن والضيق واليأس تسكن أعماقي، والمصير السيئ يمسك بيدي وينتزع أنفاسي، والحمى اللعينة منتصرة على جسدي. يا إلهي أيها الرب الذي خلقني، أنقذ وجهي، إلى متى تهملني وتتركني دون حماية*"(١).

تشير النصوص المسمارية إلى أن الدعاء كان من أهم الطقوس الدينية في بلاد النهرين؛ لكونه يمثل حلقة الوصل بين الإنسان والإله، واشتماله على الابتهالات والشكاوى والتوسلات والاعتراف بالذنوب والتضرع إلى الإله، وتكمن أهمية الدعاء في

(١) عبد الوهاب حميد رشيد، *المرجع السابق*، ص ٢٠٣ وما بعدها.

تحاشي الإنسان وتجنبه لغضب الآلهة وانتقامها، بالإضافة إلى كسب رضاها ونيل بركتها، وتحقيق أمنياته وتطلعاته، ومنها التنعم بالصحة والرخاء والأولاد وطول العمر وغيرها[١]، حيث يرد في إحدى التراتيل الخاصة بتمجيد الإله "نابو"[٢] وزوجته الإلهة "تشمتو" والمؤرخة بالعصر الآشوري الحديث ما نصه: ***انظر إلى خادمك المتعبد، ارفع صلاته، واجعل نفسه مرتاحة هادئة، أنعم عليه بذرية ووسع عائلته، حقق هدفه في معبد أي – خورساك كور كور را، إلى اليوم الذي يحالفه فيه الحظ، فعندئذ سوف يقوم بحمدك ومدحك***"[٣].

وكما سبق الذكر؛ فإذا كان غضب الآلهة ولعنتها أهم الأسباب الدينية للعقم، فإن اللجوء إلى الآلهة، والاستعانة بها، والتقرب إليها بشتى صنوف العبادة من أهم أسباب علاج العقم، وخير دليل على ذلك ما أشارت إليه أسطورة إيتانا[٤] والنسر، أو صعود إيتانا إلى السماء، ومفادها أنها تسرد قصة ملك سومري وكان رجلًا صالحًا، ولكنه كان عقيمًا لا ينجب؛ فيتضرع للآلهة بطلب وريث لعرشه، وتدور الأحداث عن

---

(1) Oppenheim, A. L., *Ancient Mesopotamia, Portrait of A Dead Civilization*, Chicago , 1977, pp. 183 f.

(٢) الإله "نابو": هو إله الكتبة أو راعي الكتبة وحامي الأدباء، وكان المسؤول عن كتابة الأقدار، والده هو الإله "مردوخ"، ووالدته هي الإلهة "صربيتو"، وزوجته الإلهة "تشمتو"، وتشاركت معه في معبد بورسيبا. للمزيد انظر: ديتز أوتو إدزارد، وآخرون، *المرجع السابق*، ص ١٦٥– ١٦٦؛ Black, J., and Green, A., *op. cit*., p. 133- 134.

(٣) بهيجة خليل إسماعيل، "النصوص المكتشفة في بيت الكاهن في آشور"، *مجلة سومر*، مج ٣٨، ج ١، ٢، بغداد، (١٩٨٢)، ص ٩١.

(٤) إيتانا: هو الملك الثالث عشر من ملوك سلالة كيش، تلك السلالة التي حكمت بعد الطوفان، وورد ذكره باسم إيتانا الذي صعد إلى السماء، ويظهر هذا الملك باعتباره الشخصية الرئيسة في ملحمة إيتانا والنسر. للمزيد انظر:

Jacobsen, Th., *The Sumerian King List*, University of Chicago Press Chicago, 1939, p. 80.

كيفية صعوده إلى السماء على ظهر نسر لتحقيق هذه الأمنية؛ فراح يصلي إلى الإله "شمش"(١)؛ لكي يزيل عنه العقم ويدله على نبتة الإخصاب التي سمع أنها الحل الوحيد للتغلب على العقم؛ حيث ورد: ***آه يا شمش، لقد استمتعت بأفضل القطع من خرافي، وشربت الأرض دماء حملاني، لقد كرمت الآلهة واحترمت أرواح الموتي، واستخدم مفسرو الأحلام بخوري لأبعد الحدود، واستفادت الآلهة من حملاني عند ذبحها، يا إلهي، لتنطق الكلمة من فمك أنت وأعطني نبتة الولادة، أرني نبتة الولادة، امح عاري وامنحني ابنًا***"(٢).

من قراءة هذا النص يتضح أن "إيتانا" قد استعان بالإله "شمش" ليساعده في التغلب على مشكلة العقم، من خلال الصلوات المتكررة التي أداها له، وتقديم القرابين، والتي كانت عبارة عن خراف سمينة تقرب إليه بأفضل القطع منها، بالإضافة إلى البخور الذي استخدمه مفسرو الأحلام، ومما يلاحظ في النص أن "إيتانا" قد عبر عن العقم بأنه عار يجب أن يمحى عن طريق "شمش" من خلال منحه وريث يخلفه في عرش "كيش"(٣).

---

(١) الإله شمش: بالأكدية، وبالسومرية "أوتو"، هو إله الشمس وهو إله الحق والعدل والاستقامة، وتصفه الأساطير السومرية بكونه ابن الإله "نانا" (سين) إله القمر، والأخ الحنون لإنانا، وكانت مدينتا "لارسا"، و"سيبار" مركز عبادته ومقر معبده "إي- بابار" الذي أطلق عليه اسم "المعبد الأبيض" لطلاء جدرانه الخارجية باللون الأبيض الذي كان يعكس أشعة الشمس. للمزيد انظر:
Bertman, Stephen, *Handbook to Life in Ancient Mesopotamia*, New York, 2003, p. 30; Mcintosh, J. R., *op. cit*., p. 344.

(2) Speiser, E. A., "Akkadian Myths and Epics: Etana", *ANET*, New Jersey, (1969), p. 117;

دالي، ستيفاني، *المرجع السابق*، ص ٢٣٩.

(٣) كيش: إحدى أهم دويلات المدن السومرية، وهي حاليًا عبارة عن مجموعة من التلال، تقع شرق مدينة بابل. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، *المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم*، ج ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٩٢.

يستجيب الإله "شمش" لإيتانا ويرشده إلى مكان نسر حبيس فيحرره ويشفيه نظير أن يطير به إلى السماء لجلب نبتة الإخصاب التي تتعهدها هناك "عشتار" بالرعاية والسقاية، يأتي "إيتانا" إلى حفرة النسر ويخبره بمشيئة "شمش"، ثم يعمل على شفائه وتدريبه على الطيران مجددًا، وعندما تعافى النسر اعتلي "إيتانا" ظهره وانطلق به إلى السماء حتى تبدو الأرض وكأنها بستان صغير ويبدو البحر الواسع وكأنه قدر ماء، ويصل النسر بإيتانا إلى سماء الإله "آنو"، حيث يدخلان بوابة "آنو"، و"إنليل"، و"إيا"؛ فيسجدان، ثم يجتازانها إلى بوابة "سين"، و"شمش"، و"أدد"، و"عشتار"، فيسجدان هناك أيضًا ، ثم يفتح "إيتانا" البوابة ويدخل، وهنا تتوقف القصة لفقد بقية النص، ولكن من المؤكد أن الجزء المفقود يكشف عن كيفية حصول "إيتانا" على نبتة الإخصاب، والعودة بها إلى الأرض؛ ويشفى من العقم، وينجب الولد؛ حيث تشير قائمة الملوك السومريين إلى أن الملك "إيتانا" كان أول ملك على كيش بعد الطوفان وأنه الذي أسس لسلالة كيش الأولى، وأن وريثه على العرش كان ابنه المدعو "باليخ"، والذي حكم كيش مدة طويلة(١).

كما كانت المرأة العاقر تلجأ إلى تقديم الهبات والهدايا للآلهة بهدف استرضائها لتمكينها من الحمل، وقد أشارت إحدى النصوص المؤرخة بالعصر البابلي القديم إلى ذلك، حيث قامت إحدى النساء العقيمات بتقديم هدية إلى إلهة الحمل إيروا(٢)، وكانت عبارة عن هلال مصنوع من البرونز؛ لتمكينها من الحمل والإنجاب(٣).

---

(١) طه باقر، *مقدمة في أدب العراق القديم*، ص ١٣٤؛ دالي، ستيفاني، *المرجع السابق*، ص ٢٣٩ وما بعدها؛

Speiser, E. A., *op. cit.*, p. 118; Jacobsen, Th., *op. cit.*, p. 81.

(٢) إيروا: إلهة الحمل والولادة، وزوجة الإله "مردوخ"، ومعنى "إيروا" بانية الذرية وخالقة النسل، ويطلق عليها عند الآشوريين "شيروا" وهي زوجة الإله "آشور". للمزيد انظر: إدزارد، ديتز أوتو، وآخرون، *المرجع السابق*، ص ١٤٣؛

Black, J., and Green, A., *op. cit.*, p. 160.

(٣) بهيجة خليل إسماعيل، "الكتابة"، حضارة العراق، ج ١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ١٦٠.

وأحيانًا كانت المرأة العاقر تلجأ إلى الكهنة لإجراء بعض الممارسات السحرية التي تتضمن التعاويذ والتمائم والأحجبة، وتشد على خصرها كعلاج للعقم، ومساعدتها على الإنجاب(١).

ب- العلاج الطبي:

تمثل علاج العقم في الاستعانة ببعض العقاقير والوصفات الطبية التي من شأنها زيادة خصوبة المرأة العاقر؛ مما يجعلها قادرة على الحمل والإنجاب، وقد أشارت إحدى النصوص البابلية إلى ذلك، حيث تم العثور على رقيم يصف علاجًا طبيًا للعقم، ويساعد على خصوبة المرأة، وقد ورد فيه ما نصه: ***"لأجل أن تأخذ البذور يوصف لها حبوب السمّاق(٢)، ويشرب بقدر ملعقة، أو حبوب العنب المسحوقة تشرب بنفس الطريقة السابقة، أو عن طريق حقنات متعددة عن طريق المهبل"***(٣).

ولعلاج اختناق المثانة (البروستاتا) يتناول عدة ملاعق من الدواء الموصوف من هذه النباتات، أو بنفخات موضعية؛ حيث ورد: ***"صمغ نبات النوهورلو دواء ضد اختناق المثانة، يشرب مع البيرة، يسحق ويدق بزيت نباتي، ينفخ بواسطة أنبوب خاص داخل العضو الذكري"***(٤)، كما كان يوصف لهذا المرض بعض النباتات الطبية، ومنها الخرنوب والعوسج والحرفيش(٥).

---

(١) ساكز، هاري، *المرجع السابق*، ص ١٩٧.

(٢) السماق: عبارة عن شجرة صغيرة لها أوراق طويلة تحتوي على بذور تشبه العدس، وتتكون هذه البذور على شكل عناقيد، لونها أحمر، وطعمها حامض. للمزيد انظر: مؤيد محمد سليمان الدليمي، *دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية*، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٣) لابات، رينيه، *المرجع السابق*، ص ١٩٩.

(٤) *نفس المرجع*، ص ١٩٩.

(٥) مؤيد محمد سليمان الدليمي، *المرجع السابق*، ص ٢١٧.

كما ورد في بعض النصوص الأخرى وصفة طبية لعلاج اختناق المثانة، وجاء فيها: "*بذر نبات لسان الكلب، ونبات عصا الراعي، ونبات المر، وبذر شجر الخرنوب الزائف، ونبات الخردل، وبذر شجرة الطرفة، سبع نباتات لاختناق المثانة*"(١).

ج- الإنجاب من محظية:

كان من ضمن الحلول التي لجأ إليها العراقيون للتغلب على العقم، لا سيما إذا لم تستجب الآلهة لطلب العقيم، وعجز الأطباء عن توفير العلاج اللازم للتغلب على هذه المشكلة، قيام الزوجة العاقر بتقديم إحدى الإماء كمحظية لزوجها لغرض الإنجاب(٢) حتى لا يقدم زوجها على الزواج من امرأة أخرى، أو يقوم بتطليقها، وبذلك تضمن مكانتها كزوجة وسيدة أولى في بيتها، ومما يؤكد ذلك ما ورد في عقد زواج بين لقيبوم وهاتالا ويؤرخ بالعصر الآشوري القديم؛ حيث نقرأ: "*عند مرور سنتين على الزواج ولم تهب الزوجة في غضونها لزوجها أطفالًا؛ فإن عليها أن تقوم بشراء أمة وتقدمها إلى زوجها لتنجب له أطفالًا*"(٣). ومن عقد آخر عثر عليه في مدينه نمرود ومؤرخ بالعصر الآشوري الحديث نقرأ ما نصه: *أعطت أمات أسرتو ابنتها سوبيتو زوجة لـ ميلكو، وبموجب شرط ينص على أنه إذا ما ثبت أن سوبيتو عاقر؛ فإن عليها أن تأخذ أمة وتعطيها لزوجها لتنجب له أطفالًا*"(٤).

---

(١) *نفس المرجع*، ص ١٧.

(٢) ديلابورت، ل.، *بلاد ما بين النهرين: الحضارتان البابلية والآشورية*، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٢. ويراجع الجزء الخاص بكاهنة الناديتوم، وما ورد في المواد (١٤٤- ١٤٦) من قانون حمورابي ينظر:

Roth, M. T., *Law Collections From Mesopotamia and Asia Minor*, Atlanta, 1997, pp. 108 f.

(3) Kensky, T. F., " Patriarchal Family Relationships and Near Eastern Law", *The Biblical Archaeologist*, vol. 44, no. 4, (1981), p.211.

(4) *Loc.cit.*, p. 211.

د- الزواج من امرأة أخرى:

تعارفت نظم الأسرة في المجتمع العراقي القديم على قيام الرجل بالزواج من امرأة واحدة؛ بدءًا من العصر السومري، واستمر على ذلك في العصور اللاحقة من العصر الأكدي حتى نهاية العصر البابلي الحديث "الكلداني"[١]، ومن هنا؛ فقد أكدت القوانين على عدم السماح للرجل بالزواج من امرأة أخرى، ومنعت تعدد الزوجات إلا في حالات الضرورة القصوى، ويعد عقم الزوجة وعدم تمكنها من إنجاب الأطفال إحدى أهم هذه الحالات؛ لأن الدور الأكبر المنوط بالمرأة يتمثل في كونها منجبة للأطفال، ومنتجة للنسل؛ فإذا عجزت المرأة أن تمد زوجها بالأطفال، كان من حق الرجل أن يتزوج من امرأة أخرى لتحقيق هذا الغرض وهو الإنجاب، ولكن دون الإخلال بحق الزوجة الأولى، أو انتقاص حقها[٢]، وقد حدث ذلك في المجتمع البابلي القديم، ومما يؤيد ذلك ما ورد في إحدى العقود المؤرخة بالعصر البابلي القديم، خاصة عهد الملك سين موباليط[٣] عن قيام رجل بالاشتراط على زوجته الثانية أن تقوم بغسل قدمي الزوجة الأولى، وحمل مقعدها إلى معبد الإله مردوخ[٤]؛ الأمر الذي يدلل على أن وضع الزوجة الأولى لم يمس، وأن مكانتها في البيت كانت أرفع شأنًا من الزوجة الثانية.

---

(١) ديلابورت، ل.، *المرجع السابق*، ص ٧٩.

(٢) حسين ظاهر حمود، "تعدد الزوجات في المجتمع العراقي القديم"، *مجلة آداب الرافدين*، ع ٣٢، (١٩٩٩)، ص ١٧.

(٣) سين موباليط: أحد ملوك بابل خلال العصر البابلي القديم، وهو والد حمورابي، حكم ٢٠ سنة وكانت بابل مزدهرة على عهده. طه باقر، *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، ص ٤٧٠.

(4) Harris, R., " The Case of Three Babylonian Marriage Contracts", *JNES*. vol. 33, no. 4, (1974), pp.365- 366;

ديلابورت، ل.، *المرجع السابق*، ص ٨٢.

هـ- التبني:

عد التبني أحد الحلول للتغلب على مشكلة العقم، وكان عبارة عن نظام قانوني يراد به إيجاد علاقة بنوة بين المتبني والمتبنى، (أي بين رجل وامرأة من جهة كطرف أول)، و(ولد أو بنت من جهة أخرى)، ويتم ذلك من خلال عقد قانوني ينص على اتفاق طرفي العقد على العلاقة الجديدة التي تربط أحدهما بالآخر، وتتضمن العلاقة الجديدة حقوق وواجبات كلا الطرفين كما ينص عليها عقد التبني(١).

وتشير النصوص القانونية والاقتصادية(٢) إلى أن التبني كان منتشرًا على نطاق واسع في مجتمع بلاد النهرين، وتكمن أهم غاياته في كونه وسيلة للتغلب على العقم والحرمان من الإنجاب، حيث كان باستطاعة المرأة العاقر وزوجها القيام بشراء طفل من والديه وتبنيه واعتباره ابن ووريث شرعي لهما، من خلال تحرير عقد يتضمن حقوق الطفل المتبنى(٣)، حيث ورد في إحدى النصوص المؤرخة بعصر إيسين، وهو عبارة عن عقد شراء وتبني في نفس الوقت ما نصه: "*طفل رضيع، يدعى إيلي-أوبليم اشتراه ياسيروم وزوجته أما- سين من والدته أجارتوم وزوجها ايرشتوم بـ ١٠ شيقلات من الفضة، و ٢ مينا من الصوف ليكون ابنًا لهما*"(٤).

---

(١) رضا جواد الهاشمي، *نظام العائلة في العصر البابلي القديم*، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٧٦.

(٢) تنظر المواد (٣٤- ٣٦) من قانون إشنونا، والتي أشارت ضمنًا إلى التبني، كما تنظر المواد (١٨٥- ١٩٣) من قانون حمورابي والتي ناقشت مبدأ التبني. للمزيد انظر:

Goetze, A., "The Laws of Eshnunna Discovered at Tell Harmal", *Sumer*, vol. 4, no. 2, (1948), p. 83; Meek, Th. J., *op. cit.*, pp. 174- 175.

(3) Johns, C. H. W., *Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters*, New York, 1904, p. 171.

(4) Chiera, E., *Old Babylonian contracts*, Philadelphia, 1922, pp. 129- 130.

رابعاً ـ الآثار المترتبة على العقم:

يترتب على العقم، والحرمان من الإنجاب العديد من الآثار التي تنوعت إلى آثار نفسية، ودينية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية؛ الأمر الذي يؤثر تأثيرًا بالغًا على ضمان استقرار المجتمع، وهي كالتالي:

أ- الأثر النفسي:

وتتمثل الآثار النفسية الناتجة عن العقم في تولد الحزن والقلق والاكتئاب؛ إذ كان الرجل العقيم يرى في نفسه أنه ليس أهلًا لبركة الآلهة، وأنه أقل شأنًا من الأشخاص المنجبين، وكذلك الحال بالنسبة للسيدات العقيمات(١)، بل والأكثر من ذلك كان العراقيون يعدون العقم عارًا، وليس أدل على ذلك من التصريح بذلك من جانب "إيتانا" في صلاته إلى الإله "شمش"، حيث ورد في نصوص أسطورة إيتانا والنسر ما نصه: *امح عاري وامنحني ابنًا* "(٢).

ب- الأثر الديني:

يتمثل الأثر الديني للعقم في حرمان العقيم من التنعم بالراحة والمكانة والمرموقة في العالم السفلي بعد الموت، لقد سبق الحديث عن أهمية الإنجاب من الناحية الدينية، وأنه يضمن مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة للأبوين في العالم الأسفل بعد الموت، من خلال ملحمة جلجامش وإنكيدو والعالم والأسفل، والتي أوضحت نظرة

---

(1) Van Rooy, H. F., "Fertility as Blessing and Infertility as Curse in the Ancient Near East and the Old Testament", *Archaeology and Fertility Cult in the Ancient Mediterranean*, First International Conference on Archaeology of the Ancient Mediterranean, University of Malta, (1986), p. 225.

(2) Speiser, E. A., *op. cit.*, p. 117;

دالي، ستيفاني، *المرجع السابق*، ص ٢٣٩.

العراقيين إلى الشخص المنجب ومنزلته في العالم السفلي؛ لذا حرصوا على الإنجاب والإكثار من الذرية حتى يضمنوا الراحة في عالم ما بعد الموت، من خلال قيام أبنائهم ـ لا سيما الذكور منهم ـ بأداء الطقوس الدينية لهم بعد وفاتهم، وتقديم القرابين، والقيام بطقوس الدفن والتي كانت تعد وسيلة لتخليد ذكراهم بعد الموت(١).

أما الشخص الذي حُرم الذرية ولم تؤدّ له طقوس الدفن، ولم تقدم له القرابين الجنائزية؛ فتهمل جثته، وينتظره مصير سيئ بعد الموت(٢)، فروحه لا تنعم بالراحة في العالم السفلي، وليس له طعام إلا من الفضلات والمزابل، أو التراب والطين، حيث ورد في ملحمة جلجامش وإنكيدو والعالم الأسفل ما نصه: "... *وهل رأيت من تُرك جثمانه في البرية؟ أجل لقد رأيت. إن روحه لا تجد الراحة في العالم الأسفل. هل رأيت من لا يوجد أحد لا يُقرّب لروحه؟ أجل لقد رأيت. إن روحه تأكل من حثالة الأوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع. هل رأيت من لا ولد له؟ أجل رأيته وطعامه الطين والتراب...*"(٣).

وقد أشارت النصوص إلى حال من تهمل جثته بعد وفاته لكونه عقيمًا لم ينجب، أو أُهمل من جانب أسرته؛ فلم تؤدّ له طقوس الدفن؛ حيث ورد: *شبح منسي، أو شبح لم يذكر اسمه، أو شبح من ليس له أحد يعنى به*"(٤).

ومن هنا استعاض من ابتلي بالعقم وعدم الإنجاب إلى تبني الأولاد سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا؛ ليقوموا بتأدية الطقوس الدينية لهم بعد وفاتهم، مقابل ما يحصلون

---

(1) Bayliss, M., " The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia", *Iraq*, vol. 35, no. 2, (1973), p. 117.

(2) *Loc. cit.*, p. 116.

(٣) طه باقر، *ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان*، ص ١٨٩.

(٤) ساكز، هاري، *عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة*، ترجمة وتعليق: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٣٤٧.

عليه من تركة الميت[١]، وتشير الوثائق الخاصة بعقود التبني اشتراط المتبني على المتبنى الاحترام في الحياة، وتأدية الطقوس بعد الوفاة، حيث ورد في وثيقة خاصة بالتبني تؤرخ بالعصر البابلي الوسيط تشترط فيها المتبنية على المتبناة التزامها بذلك، فنقرأ: "*طالما المتبنية تعيش يجب على المتبناة احترامها ورعايتها، وعندما تموت تسكب ابنتها الماء لأجلها*"، وفي نص آخر يشترط فيه المتبني على ابنته المتبناة تقديم القرابين والطقوس له بعد الموت مقابل جميع أملاكه؛ حيث ورد: "*في حياتي عليك أن تقومين بإطعامي، وعندما أموت فعليك أن تقدمي القرابين الجنائزية من أجلي*"[٢].

ج- الأثر السياسي:

كانت مسألة الإنجاب في غاية الأهمية بالنسبة للملوك؛ لضمان وجود وريث شرعي يخلف الملك على العرش؛ لذا كان الصراع على السلطة، والمؤامرات السياسية، واغتيال الملوك، نتيجة طبيعية لعدم وجود وريث للملك من صلبه يخلفه على العرش، ومما يؤكد ذلك الفوضى السياسية والاضطرابات والقلاقل التي حدثت في نهاية الدولة الأكدية؛ حيث كانت وفاة الملك الأكدي شار- كالي- شاري[٣] دون

---

(1) Suleiman, A., *A Study of Land Tenure in The Old Babylonian Period With Special Reference to The Diyala Region, Based on Published and Unpublished Texts*, Ph.D, School of Oriental and African Studies, LondonUniversity,1966, pp. 175 f.

(2) Bayliss, M., *op. cit.*, p. 120.

(٣) شار- كالي- شاري: هو أحد ملوك الدولة الأكدية، ابن نرام سين وخليفته على العرش، حكم لمدة ٢٥ عامًا، ولقد انتهى عهده نهاية مؤسفة، إذ قتل على يد أتباعه، وبنهاية عهده عاشت أكد في فترة من الخراب والفوضى، وانتهى الأمر بنهاية الأسرة الأكدية وانتقال مقاليد الحكم فيها إلى الجوتيين. للمزيد انظر: رو، جورج، *المرجع السابق*، ص ٢١٦- ٢١٩؛

Rowton, M. B., "Ancient Western Asia", *CAH*, vol. 1, part. 1, Third Edition, Cambridge University Press, (1970), p. 219.

وريث شرعي له يخلفه في الحكم سببًا في دخول البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب لمدة ثلاث سنوات إلى أن تمكن أحد الحكام من تثبيت أقدامه وارتقاء عرش البلاد، بالإضافة إلى كون ذلك سببًا في وقوع البلاد بعد ذلك تحت نير الاحتلال الجوتي(١).

د- الأثر الاقتصادي:

وبالنسبة للأثر الاقتصادي للعقم؛ فقد سبق الحديث عن الدافع الاقتصادي للإنجاب، والذي كان يتمثل في توفر الأيدي العاملة التي تحتاجها البيئة الزراعية، أو الأعمال الحرفية، بالإضافة إلى تقديم يد العون والمساعدة للوالدين، لا سيما عند الشيخوخة والعجز، وفي المقابل؛ فإن العقم يعد سببًا لقلة اليد العاملة، إلى جانب انعدام من يقوم بشؤون الوالدين في مرحلة الضعف والتقدم في العمر، ومن هنا لجأ البعض إلى التبني كوسيلة للتغلب على العقم والحرمان من الإنجاب، ومن الملاحظ أن أغلب الحالات التي تم اللجوء فيها إلى التبني كانت من جانب أشخاص كبار في السن(٢)، وقد نصت المادتان (١٨٨- ١٨٩) من قانون حمورابي على ضرورة تعليم الحرفي ابنه من التبني مهارة حرفته؛ حرصًا على حقوق الولد المتبنى(٣)، كما أشارت عقود أخرى إلى وجود اشتراطات على الابن المتبنى أن يوفر لأبيه المتبني كميات محددة من المؤن عند شيخوخته؛ حرصًا على حقوق الوالد المتبني(٤).

---

(١) مورتكات، أنطوان، *تاريخ الشرق الأدنى القديم*، ترجمة: توفيق سليمان، وعلي أبو عساف، وقاسم طوير، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٠٢- ١٠٣.

(٢) رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ١٧٧.

(3) Meek, Th. J., *op. cit.*, pp. 174- 175.

(4) Poebel, A., *Babylonian legal and business documents from the time of the first dynasty of Babylon: chiefly from Nippur, Philadelphia*, 1909, p. 34.

هـ- الأثر الاجتماعي:

يتمثل الأثر الاجتماعي للعقم في الفشل في تكوين أسرة مكتملة الأركان التي يعد الأولاد أهم أركانها ودعائمها، بالإضافة إلى الإخفاق في إشباع غريزة الأبوة والأمومة؛ لكون الأولاد الامتداد الطبيعي للوالدين[١]، ومن المعروف أن تكوين الأسرة واستمراريتها في القيام بدورها على نهج سليم كمؤسسة اجتماعية، يتوقف على بعض المقومات الأساسية المتكاملة، وعلى رأسها إنجاب الأطفال، وأن أي خلل في هذه المقومات قد يؤدي إلى عدم استقرار الحياة الزوجية، وبالتالي تحول دون قيام الأسرة بوظائفها الطبيعية، ومن هنا فإن عقم الزوجة كان يدفع الرجل إلى الزواج أملًا في الإنجاب من امرأة أخرى، والذي لم يكن مسموحًا به إلا في حالات ضرورية كهذه الحالة، ومن هنا كان إخفاق الزوجة في إنجاب الأطفال يعد مصيبة كبرى؛ فربما لجأ الرجل إلى الزواج من امرأة أخرى؛ فينجم عن ذلك ظاهرة تعدد الزوجات[٢]، وربما عرضها ذلك إلى الطلاق؛ حيث أقرت القوانين والأعراف للرجل حق تطليق زوجته في حالة عدم الإنجاب؛ ومن ثم فيكون العقم هو المبرر الشرعي للطلاق[٣].

---

(١) عامر سليمان، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة"، *المدينة والحياة المدنية*، ج١، بغداد، (١٩٨٨)، ص ٢٠٠.

(٢) حسين ظاهر حمود، *المرجع السابق*، ص ١٧ وما بعدها.

(٣) رضا جواد الهاشمي، *المرجع السابق*، ص ١٢٥- ١٢٦.

نتائج البحـــث

من خلال دراسة هذا البحث تُستخلص النتائج التالية:

أولًا ـ مدى رسوخ فكرة الإنجاب وضرورة الإكثار من الذرية في الفكر العراقي القديم، وذلك نتيجة لاعتقاد القوم بأن سعادتهم ورفاهيتهم لا يمكن لها أن تتحقق في الدنيا، أو في العالم الأسفل إلا من خلال الإنجاب وكثرة الأولاد.

ثانيًا ـ مثلت ظاهرة العقم مشكلة كبيرة بالنسبة للزوجين؛ فكانوا يعدونه علامة لسوء الحظ، ونقمة ولعنة من الآلهة؛ ومن هنا كان لزامًا عليهم السعي الحثيث لإيجاد حل لهذه المشكلة والمصيبة الكبرى التي حلت بهم.

ثالثًا ـ في الوقت الذي كانت فيه الجوانب الدينية أهم أسباب العقم في المجتمع العراقي القديم، كانت هي ـ أيضًا ـ أهم الحلول والوسائل للتغلب عليه؛ ومن هنا كان لابد من الاستعانة بالآلهة باعتبارها هي المسؤولة عن العقم والإنجاب، وتقديم كافة ألوان الطقوس الدينية كالصلاة، والدعاء، والابتهال، والقرابين، لإمدادهم بالأولاد؛ الأمر الذي يدلل على قيمة ومكانة الدين، ومدى تغلغل الفكر الديني في نفوس العراقيين القدماء.

رابعًا: لم تقتصر عبقريه العراقيين القدماء على النتاجات الحضارية المتعلقة بالجوانب الفكرية والأدبية فحسب؛ بل تعدتها لتشمل العديد من العلوم والمعارف، ومن بينها ما يتعلق بتشخيص الأمراض، وطرق وسبل علاجها.

خامسًا: تخطت خبرة العراقيين القدماء من معرفة وتشخيص الأمراض الخارجية الظاهرة إلى معرفة وتشخيص الأمراض الداخلية الباطنة، وأماكنها الدقيقة داخل جسد المريض، ووصف العلاج اللازم لها.

سادساً: من الخطأ الاعتقاد بأن العراقيين القدماء اعتمدوا في علاج مرضاهم على السحر والطقوس الدينية فحسب؛ بل مارسوا العلاج بالوصفات والعقاقير الطبية المكتسبة عن طريق التجربة والاستقراء كما هو في الوقت الحاضر.

سابعاً: كان وقع العقم ثقيلًا على نفوس العراقيين القدماء؛ نظرًا لما كان يحدثه من أثر على مختلف جوانب الحياة، وما يسببه من شعور بالنقص والعجز والحرمان، وما يترتب عليه من عدم استقرار في الحياة الزوجية.

❁❁❁❁

قائمـــة المراجـــع

أولًا ـ المراجع العربية 🕮:

- ابن منظور، ***لسان العرب***، مج ٤، ج ٣٤، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٣٠٣٣- ٣٠٣٤، ص ٣٠٥٠- ٣٠٥١.
- أحمد أمين سليم، ***الأسرة في العراق القديم "دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح"***، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢١.
- أحمد مصطفى لطفي، ***التلقيح الصناعي بين أقوال الأطباء وآراء الفقهاء***، الإسكندرية، ٢٠٠٦. محمد سعيد المحيشي، ***العقم والإخصاب***، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته- ليبيا، ١٩٩٣.
- بهيجة خليل إسماعيل، "النصوص المكتشفة في بيت الكاهن في آشور"، ***مجلة سومر***، مج ٣٨، ج ١، ٢، بغداد، (١٩٨٢)، ص ٩١- ٩٢.

----------، "الكتابة"، ***حضارة العراق***، ج ١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ٢٢١- ٢٧٢.

- ثلماستيان عقراوي، ***المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين***، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
- رمضان محمد القذافي، ***علم النفس في الإسلام***، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٩.
- سامي سعيد الأحمد، "الأحلام في العراق والعالم القديم"، ***مجلة المورد***، مج ٢٠، ع ٢، بغداد، (١٩٩٢)، ص ١٧.
- طه باقر، ***مقدمة في أدب العراق القديم***، ط ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.

------، فاضل عبد الواحد علي، وعامر سليمان، ***تاريخ العراق القديم***، ج ٢،

بغداد، ١٩٨٠.

------، ***ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان***، ط ٥، دار المدى، دمشق، ١٩٨٦.

-----، ***مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة***، ج١، ط١، دار الوراق، بغداد،٢٠٠٩.

❁ عامر سليمان، "جوانب من حضارة العراق القديم"، ***العراق في التاريخ***، بغداد، (١٩٨٣)، ص ١٨٨.

-------، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة"، ***المدينة والحياة المدنية***، ج١، بغداد، (١٩٨٨)، ص ١٧٧-٢٣٤.

-------، ***العراق في التاريخ القديم: موجز التاريخ الحضاري***، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣.

❁ عبد الوهاب حميد رشيد، ***حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا –العقيدة الدينية- الحياة الاجتماعية- الأفكار الفلسفية***، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٤.

❁ فاروق إسماعيل، ***مراسلات تل العمارنة الدولية: وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق. م***، ط١، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠.

❁ فاضل عبد الواحد علي، ***الطوفان في المراجع المسمارية***، مكتبة المهتدين، بغداد، ١٩٧٥.

------، "الأدب"، ***حضارة العراق***، ج ١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ٣١٩- ٣٨٦.

❁ فوزي رشيد، ***الشرائع العراقية القديمة***، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣.

❁ مؤيد محمد سليمان الدليمي، ***دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية***، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦.

--------، " مرض اختناق المثانة البروستات في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية"، ***مجلة آداب الرافدين***، ع ٥٠، الموصل، (٢٠٠٨)، ص ٢٨٧-٣٠٠.

ثانيًا ـ المراجع المترجمة📖:

❁ إدزارد، ديتز أوتو، وآخرون، ***قاموس الآلهة والأساطير***، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط١، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢.

❁ دالي، ستيفاني، ***أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها)***، ترجمة: نجوى نصر، ط١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٧.

❁ رو، جورج، ***العراق القديم***، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، ط٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

❁ ساكز، هاري، ***عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة"***، ترجمة وتعليق: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.

-----، ***قوة آشور"***، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩.

❁ صمويل كريمر، ***من ألواح سومر***، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٧.

❁ لابات، رينيه، "الطب االبابلي والآشوري"، ترجمة: وليد الجادر، ***مجلة سومر***، مج ٢٤، ج ١، ٢، بغداد، (١٩٦٨)، ص ١٩١- ٢٠٦.

------- ، ***قاموس العلامات المسمارية***، ترجمة: ألبير أبونا، وليد الجادر، وخالد سالم إسماعيل، مراجعة عامر سليمان، الموصل، ٢٠٠٤.

❁ مورتكات، أنطوان، ***تاريخ الشرق الأدنى القديم***، ترجمة: توفيق سليمان، وعلي أبو عساف، وقاسم طوير، دمشق، ١٩٦٧.

ثالثًا ـ المراجع الأجنبية 🕮:

❁ Bayliss, M., " The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia", ***Iraq***, vol. 35, no. 2, (1973), pp. 115- 125.

❁ Bertman, Stephen, ***Handbook to Life in Ancient Mesopotamia***, New York, 2003.

❁ Biggs, R. D., " Akkadian Didactic and Wisdom Literature", ***ANET***, 3 ed, New Jersey, (1969), pp. 592- 596.

❁ Black, J., and Green, A***., Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary***, The British Museum Press, London, 1992.

❁ Chiera, E., ***Old Babylonian contracts***, Philadelphia, 1922.

❁ Gelb, I. J.," The Name of the Goddess Innin", ***JNES***, vol. 19, no. 2, (1969), pp.72-79.

❁ Goetze, A., "The Laws of Eshnunna Discovered at Tell Harmal", Sumer, vol. 4, no. 2, (1948), pp. 63- 102.

❁ Gordon, I. E., "A new look at the wisdom of Sumer and Akkad**", *Bi. Or***, vol. 17, no. 3- 4, (1960), pp. 122- 152.

❁ Gordon, I. E., ***Sumerian Proverbs Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia***, New York , 1968.

❁ Harris, R***.,*** ***Ancient Sippar A Demographic Study of An Old Babylonian City (1894-1595B.C.)***, Leiden,1975.

❁ Harris, R., " The Case of Three Babylonian Marriage Contracts", ***JNES***. Vol. 33, no. 4, (1974), pp. 363- 369.

❁ Jacobsen, Th., ***The Sumerian King List***, University of Chicago Press Chicago, 1939.

❁ Johns, C. H. W., ***Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters***, New York, 1904.

❁ Kensky, T. F., " Patriarchal Family Relationships and Near Eastern Law", ***The Biblical Archaeologist***, vol. 44, no. 4, (1981), pp. 209- 214.

❁ Kramer, S. N ., ***The Sumerians, Their History, Culture, and Character***, Chicago, 1963.
----------., ***Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C***, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1961.

❁ Lahtinen, S., ***The nadītum as Businesswoman: Economic Enterprise among Religiously Devoted Women in Old Babylonian Sippar***, Uppsala, 2008.
❁ Lambert, W. G., " Celibacy in the World's Oldest Proverbs", ***BASOR***, vol. 169, (1963), pp. 63- 64.

❁ Lambert, W. G., ***Babylonian Wisdom Literature***, The Clarendon press, Oxford, 1960.

❁ Leick, G***., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology***, London and New York, 1991.

❁ Mcintosh, J. R., ***Ancient Mesopotamia New Perspectives***, Oxford, 2005.
❁ Meek, Th. J., "The Code of Hammurabi", ***ANET***, Princeton University Press, New Jersey, (1969), pp.163- 180.

❁ Meek, Th. J., "The Middle Assyrian Laws", ***ANET***, Princeton University Press, New Jersey, (1969), pp. 180- 188.

❁ Moran, W. L., ***The Amarna Letters***, The Johns Hopkins University Press, London, 1992.

❁ Mu-chou Poo., ***Enemies of civilization: attitudes toward***

foreigners in Ancient Mesopotamia, Egypt, and China, New York, 2005.

❁ Nötscher, F., "Die Omen-Serie šumma âlu ina Mêlê šakin", ***Orientalia***, no. 51-54, 1929.

❁ Oppenheim, A. L., " The Interpretation of Dreams in the Ancient Near East. With a Translation of an Assyrian Dream-Book", ***American Philosophical Society***, New Series, vol. 46, no. 3 (1956), pp.

❁ Oppenheim, A. L., ***Ancient Mesopotamia, Portrait of A Dead Civilization***, Chicago 1977.

❁ Pfeiffer. R. H., "Akkadian Proverbs and Counsels", ***ANET***, 3 ed, New Jersey, (1969), pp. 425- 427.

❁ Roth, M. T., ***Law Collections From Mesopotamia and Asia Minor***, Atlanta, 1997.

❁ Rowton, M. B., "Ancient Western Asia", ***CAH***, vol. 1, part. 1, Third Edition, Cambridge University Press, (1970), pp. 193- 247.

❁ Saggs, H. W. F***., Everyday Life in Babylonia and Assyria***, New York, 1965.

❁ Speiser, E. A., "Akkadian Myths and Epics: Etana", ***ANET***, New Jersey, (1969), pp. 114- 118.

❁ Stone,E.C., "The Social Role of the Naditu Women in Old Babylonian Nibbor", ***JESHO***, vol. 25, no.1, (1982), pp. 50- 70.

❁ Suleiman, A., ***A Study of Land Tenure in The Old Babylonian Period With Special Reference to The Diyala Region, Based on Published and Unpublished Texts***, Ph.D, School of Oriental and African Studies, LondonUniversity,1966.

❁ Thompson, R. C., ***Assyrian medical texts from the originals in the British Museum***, London, 1923.

❁ Van Rooy, H. F., "Fertility as Blessing and Infertility as Curse in the Ancient Near East and the Old Testament", ***Archaeology and Fertility Cult in the Ancient Mediterranean, First International Conference on Archaeology of the Ancient Mediterranean***, University of Malta, (1986), pp. 225- 235.

❁❁❁